



جامعة النجاح الوطنية
كلية الدراسات العليا

صورتا المرأة والرجل في رواية السقوط في الشمس للكاتبة سناء الشعلان

إعداد

آمنة محمد عبد الجليل عليوي

إشراف

د. عدوان نمر عدوان

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين.

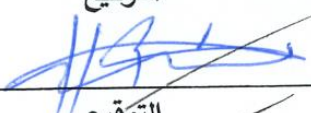
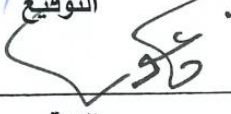
2022

صورتا المرأة والرجل في رواية
السقوط في الشمس للكاتبة سناء الشعلان

إعداد

آمنة محمد عبدالجليل عليوي

نوقشت هذه الرسالة بتاريخ 2022/02/17م، وأجيزت:


التوقيع

التوقيع

التوقيع

د. عدوان نمر عدوان
المشرف الرئيسي
د. نسيم بني عوده
الممتحن الخارجي
أ. د. خليل عوده
الممتحن الداخلي

الإهداء

إلى الروح التي فارقت الحياة ولم تفارقني إلى الحب الكبير

أبي الحبيب

إلى رمز العطاء ونبع الحنان إلى مهجة القلب ونور العين

أمي الحبيبة

إلى السند والعضد الذي لا يميل إخوتي

(منير، أشرف، عمرو)

إلى من وهبتهم لي الحياة أخوات

(خلود، مها، ياسمين)

أهدي هذا العمل

الشكر والتقدير

بداية أحمد الله عزوجل على هذا التوفيق والسداد

كما أتوجه بشكري الخالص إلى أستاذي الكبير الدكتور عدوان نمر عدوان لما بذله معي من جهدٍ

وما قام به في مساعدتي لإتمام هذا البحث

وأقدم بخالص الشكر إلى المناقشين الدكتور خليل عودة والدكتور نسيم بني عودة

وأتقدم بجزيل الشكر لدكتورة سناء الشعلان على مساندتي في إنجاز هذا العمل

الإقرار

أنا الموقعة أدناه، مقدمة الأطروحة التي تحمل العنوان:

صورتا المرأة والرجل في رواية السقوط في الشمس للكاتبة سناء الشعلان

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة هي نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل أية درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أية مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

اسم الطالب: آمنة محمد عبد الجليل عليوي

التوقيع: آمنة عليوي

التاريخ: 2022/02/16

فهرس المحتويات

الإهداء	ب
الشكر والتقدير	د
الإقرار	هـ
فهرس المحتويات	و
الملخص	ط
مقدمة	1
التمهيد	5
الأدب النسوي	7
الفريق المعارض لمصطلح الأدب النسائي	11
الفريق المؤيد لمصطلح الأدب النسائي	15
الصورة اصطلاح	17
الفصل الأول: صورة المرأة في رواية السقوط في الشمس	19
صورة المرأة التقليدية المحافظة	19
صورة المرأة العاملة والمناضلة	20
صورة المرأة المثقفة والواعية سياسياً	22
صورة المرأة السيئة	23
صورة المرأة المتمردة	26
صورة المرأة العاشقة	28
صورة المرأة الرمز في الروايات	31

33	صورة المرأة الأم
35	صورة المرأة الزوجة
36	صورة المرأة الفلسطينية
38	المرأة حسب التقسيم الجغرافي
38	المرأة الريفية
39	المرأة البدوية
39	المرأة الحضرية
40	الخلاصة
41	الفصل الثاني: صورة الرجل في رواية السقوط في الشمس
41	صور
41	مقدمة
42	صورة الرجل الأب
45	صورة الرجل الزوج
48	صورة الرجل الأخ
49	صورة الرجل الخائن
51	صورة الرجل المناضل
53	صورة الرجل المحب العاشق
55	صورة الرجل الشهواني
56	صورة الرجل الأسطورة
61	صورة الرجل الجبان
63	صورة الرجل المتدين

65	صورة الرجل والسلطة
68	صورة الرجل الفلاح
69	صورة الرجل الفقير
72	الخلاصة
73	الفصل الثالث: البعد النفسي والسياسي والاجتماعي في رواية السقوط في الشمس
73	البعد النفسي في رواية السقوط في الشمس
76	الانعكاس النفسي في رواية السقوط في الشمس
86	البعد السياسي في رواية السقوط في الشمس
92	البعد الاجتماعي في رواية السقوط في الشمس
98	الخلاصة
99	الخاتمة
101	قائمة المصادر والمراجع
b	Abstract

صورتا المرأة والرجل في رواية السقوط في الشمس للكاتبة سناء الشعلان

إعداد

آمنة محمد عبد الجليل عليوي

إشراف

د. عدوان نمر عدوان

الملخص

تناولت الباحثة في هذه الدراسة صورتا المرأة والرجل في رواية السقوط في الشمس للكاتبة سناء الشعلان، فالرواية جسدت لنا صوراً حية للواقع المعاش، وسلطت الضوء على صورة المرأة والرجل والبعد النفسي والسياسي والاجتماعي عليهما، من خلال الوصف والتحليل لإظهار ما يميز الكاتبة عن الكاتبات الأخريات.

وقد جاءت الدراسة في تمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة، بينت الباحثة فيها أهمية الدراسة كونها تتناول موضوع صورتا المرأة والرجل والبحث في الفوارق بينهما مبينة أهم الأسئلة التي ستجيب عنها الدراسة، ثم توقفت الباحثة فيها على مفهوم الأدب النسوي وعند مفهوم الصورة لغة واصطلاحاً.

أما الفصل الأول فقد تناولت فيه الباحثة صورة المرأة في رواية السقوط في الشمس توقفت فيه الباحثة عند الصورة التي رسمتها الكاتبة للمرأة في رواية "السقوط في الشمس" باعتبارها نموذجاً تطبيقياً للدراسة، وتتبع أهم العناصر التي وظفتها في رسم تلك الصورة من إحالات داخلية وخارجية وتتأصل بمختلف أنواعه، بما يُعينُ على معاينة تلك الصورة واستنباط أهم ملامحها.

أما الفصل الثاني فقد تناولت فيه الباحثة صورة الرجل في رواية السقوط في الشمس وكيف صورت
سواء الشعلان الرجل، ثم محاولة إقامة مقارنة بين كلا الصورتين في الرواية: الأولى صورة المرأة
والثانية صورة الرجل.

أما في الفصل الثالث فقد خصصته الباحثة للحديث عن البعد النفسي والسياسي والاجتماعي للمرأة
والرجل في الرواية؛ إذ تتبعت فيه مدى إنعكاس البعد النفسي، والاجتماعي، والسياسي للكاتبة على
أدبها.

وبعد ذلك ذيلت الدراسة بخاتمة أجملت فيها ما توصلتُ إليه من نتائج.

الكلمات المفتاحية: صورة المرأة، صورة الرجل، رواية السقوط في الشمس، الأدب النسوي، البطلة،
أرتميس، هيليوس، النفسي، السياسي، الاجتماعي.

مقدمة

الحمد لله ربّ العالمين الذي أعطاني العقل الذي أفكر به فأنا بصرى وبصيرتي، والذي يسر لي أموري وطريقي، وأحمده سبحانه وتعالى على نعمه جميعا الظاهرة منها والباطنة، وأصلي على سيدنا وحبيبنا محمد ﷺ أعظم الأنام وخاتم الأنبياء والمرسلين أما بعد:

إنني اليوم أطلب من الله العون والمساعدة حتى أستطيع أن أقدم دراسة متميزة حول الموضوع الذي أزمعت الكتابة فيه والخوض في غماره والذي يحمل عنوان: (صورتا المرأة والرجل في رواية السقوط في الشمس) للكاتبة سناء الشعلان والسبب الذي دعاني للبحث في هذا العنوان أن قضية المرأة والرجل قائمة على التمييز حسب وجهة نظر الكاتب، لكن الكاتبة في روايتها عرضت تمثلات للمرأة والرجل منها إيجابية ومنها سلبية دون تحيزٍ للمرأة وبذلك تميزت عن الروايات الأخرى.

تتبع أهمية الدراسة من كونها تتناول واحدة من أهمّ الموضوعات التي شغلت فكر العلماء، وهو موضوع البحث في أهم الفوارق بين الرجل والمرأة، وقد كان للمرأة الأدبية نصيب من هذه الأعمال؛ إذ كتب في الموضوع غير أدبية، إلا أن هذه الجهود هُمِشت وأُهْمِلت مقارنة بالاهتمام الذي حظيت به كتابات الرجل الأديب، ودليل هذا الإجحاف هو ذلك المُسمى الذي قال به البعض حين سَمّى كتابات المرأة بالأدب النسوي؛ وذلك من أجل تبخيس تلك الأعمال والتقليل من قيمتها الأدبية، وبالتالي فرض الوصاية الذكورية عليها؛ فالمرأة كما يرون أقلّ إبداعا من الرجل، وهذا كان سببا للتقليل من قيمتها وتهميشها في كثير من الدراسات؛ لكن إذا أردنا الإنصاف أن نترك العمل الأدبي يُقَيِّم نفسه، لا أن يُقَيِّم بناءً على جنس الكاتب.

لذا تقف هذه الدراسة أمام رواية تناولت موضوع صورتنا المرأة والرجل من انتاج امرأة أديبة؛ إذ تتخذ هذه الدراسة من رواية (السقوط في الشمس) للروائية سناء الشعلان موضوعها، وهذا هو الجديد الذي تتناوله هذه الدراسة؛ حيث إن الدراسات التي تناولت هذه الرواية كانت قليلة جداً؛ إذ لم أستطع أن أصل إلى دراسة كاملة أو رسالة علمية منشورة تناولت هذه الرواية، إلا بعض الدراسات المتواضعة التي تناولتها في تقرير أو مقالة؛ وقد اطلعت عليها، كان منها:

1- صبرينة جعفر، السقوط في الشمس واعشقتني لسناء الشعلان المغامرة الجمالية للنص الروائي السير ذاتي بين الإبداع والخصوصية.

<https://daralkashkol.com/fourms/viewtopic.php?t=17658>

تحدثت الباحثة عن الإبداع الروائي عند المرأة العربية، وسعت لاكتشاف العناصر الجمالية في الرواية النسوية وتحليل العتبات في الروايتين..

2- طاهر البربري، رواية السقوط في الشمس عبر الذاكرة المسكونة في الشتات.

يشير الكاتب في هذا المقال إلى الجانب الأسطوري واللغة السردية في الرواية.

<https://daralkashkol.com/fourms/viewtopic.php?t=17658>

3- حكمت النوايسة، رواية السقوط في الشمس لسناء الشعلان المرأة تصنع تمثالها الخالدة وتتعبدها.

<https://daralkashkol.com/fourms/viewtopic.php?t=17658>

في هذا المقال عرضت الكاتبة صورة للمرأة في العصور القديمة ثم في الوطن العربي و رسمت صورة مغايرة للمرأة في رواية السقوط في الشمس عن الصور السابقة فالبطلة عاشقة، مثقفة، قوية، توظف قوتها لصنع عشقها الخاص..

4- حسن عباس، تيار الوعي في رواية السقوط في الشمس للروائية الدكتورة سناء الشعلان.

<https://daralkashkol.com/fourms/viewtopic.php?t=17658>

في هذا المقال ينقد الكاتب عنوان الرواية ويوضح لنا جمال السرد في الرواية بالتحليل والوصف.

ولتحقيق تلك الغاية تحاول الدراسة أن تجيب عن التساؤلات الآتية:

- ما الصور التي ركزت عليها الكاتبة، وهل تشابهت مع صورة المرأة والرجل في روايات النساء؟
- كيف بدت ملامح شخصية الرجل في رواية سناء الشعلان، وهل كانت صورته موافقة للصورة العامة في الروايات النسائية أم كان لها ملامح مخالفة؟

- هل تأثرت الكاتبة بالأوضاع السياسية والاجتماعية والنفسية في الوطن العربي، وما أثر هذه الأوضاع على صورة المرأة والرجل في الرواية؟

- هل نهجت الكاتبة سناء الشعلان في روايتها أسلوب الروائيات أم كان لها أسلوبها الخاص؟

لكن لا يمكن أن أغضَّ الطرف عن جمال الموضوع وأهميته ولذة اللذين ساعداني في تخطي العقبات لإتمام الدراسة والبحث في موضوعها، واعتمدت في هذه الدراسة على منهج الوصفي والنفسي باعتباره الأكثر ملاءمة وانسجاماً مع أهداف الدراسة.

وقد جاءت الدراسة في تمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة، فأما التمهيد فقد توقفت فيه على مفهوم الصورة لغة واصطلاحاً، وتوقفت عند مفهوم الأدب النسوي.

وجاء الفصل الأول بعنوان (صورة المرأة في رواية السقوط في الشمس).

توقفت فيه الباحثة على الصورة التي رسمتها الكاتبة للمرأة في رواية "السقوط في الشمس" باعتبارها نموذجاً تطبيقياً للدراسة، وتتبع أهم العناصر التي وظفتها في رسم تلك الصورة من إحالات داخلية وخارجية وتناص بمختلف أنواعه، بما يُعين على معاينة تلك الصورة واستنباط أهم ملامحها.

وتتأول الفصل الثاني عنوان (صورة الرجل في رواية السقوط في الشمس):

للحديث عن صورة الرجل في الرواية وكيف صورت سناء الشعلان الرجل، وذلك بعد أن أُجلى للقارئ المعنى الواقع خلف مصطلح صورة الرجل في الأدب، ثم محاولة إقامة موازنة بين كلا الصورتين في الرواية: الأولى صورة المرأة والثانية صورة الرجل.

أمّا في الفصل الثالث فقد تناولت (البعد النفسي والسياسي والاجتماعي في رواية السقوط في الشمس) البعد النفسي، والاجتماعي، والسياسي للمرأة والرجل في الرواية؛ إذ تتبعت فيه مدى انعكاس العامل النفسي، والاجتماعي، والسياسي للكاتبة على أدبها.

وبعد ذلك ذيلت الدراسة بخاتمة أجملت فيها ما توصلتُ إليه من نتائج.

وأخيرا أشكر ملهمي وأستاذي الفاضل الدكتور عدوان الذي كان لي موجهًا حريصًا وناصحًا أمينًا؛ إذ لم يتوان لحظة في إرشادي وتوجيهي وتقديم وافر النصح لي، فجزاه الله عني خيرا وبارك في علمه وعمله.

والحمد لله رب العالمين

التمهيد

تعد صورة المرأة والرجل ركيزة مهمة في الأعمال الأدبية ولا سيما في المجال الروائي فلا نجد عملاً روائياً يخلو من وجود المرأة، فوجودها في العمل الروائي يعالج الكثير من قضايا المجتمع، فسردت عن تصوراتها وخيالاتها¹، وقبل الولوج وعرض صورة المرأة والرجل في الرواية سأقف عند مفهوم الأدب النسوي وعند مفهوم الصورة.

تمثل رواية السقوط في الشمس للكاتبة سناء الشعلان طابعا بارزا للكاتبة في المجال الروائي حيث أن الكاتبة سردت الأحداث بجرأة وعرضت لنا صراع البطلة الذاتي، فكتابات المرأة بشكل عام أضاف أساليب ومواضيع جديدة للأدب، فالرواية النسوية اختلفت عن الرواية الذكورية، لسعيها في هدم قيم الذكورة²، كما أثارت قضايا لم يتحدث عنها الرجل في كتاباته، وقد كان لها سهمة واضحة في التأثير في نظرة المجتمع تجاه المرأة ومكانتها، فهي لم تكن مجرد إبداع فني بل كانت أدباً هادفاً يدعم المرأة ويقودها نحو التحرر، فكتابات المرأة أضفت نوعاً من الخصوصية والاختلاف عن باقي الكتابات، فاختلفت سمات المرأة وطريقة تفكيرها ونظرتها لمشاكل المجتمع من زاوية مختلفة عن الرجل، أسهمت في خلق عمل أدبي بسمات جديدة ومضامين مختلفة، فهناك اختلافات عدة بين الرجل والمرأة أدت إلى التأثير في شكل الأدب ومن هذه الاختلافات³:

¹ ينظر: عدوان، نمر عدوان: تقنيات النص السرد في أعمال جبرا إبراهيم جبرا الروائية، رسالة ماجستير، فلسطين، جامعة النجاح الوطنية، 2001م، ص135.

² ينظر: حسين، طه: المرأة وعلاقتها بالآخر في الرواية العربية الفلسطينية، الأردن، دار الفارس للنشر والتوزيع، ط1، 1981، ص12.

³ مناصرة، حسين: النسوية في الثقافة والإبداع، ص111.

- البنية النفسية للمرأة التي تختلف عن البنية النفسية للرجل، مما يفرض وضعاً نفسياً مغايراً في الكتابة النسوية.

- البنية الجسدية الإنطوائية المفروضة على المرأة تختلف عن البنية الاجتماعية الذكورية المهيمنة.

- اختلاف خيال المرأة عن خيال الرجل، مما يستدعي اختلاف الذاكرة النسوية عن الذاكرة الذكورية.

لقد أسهمت هذه الاختلافات بشكل كبير في التأثير في شكل الأدب من حيث الأساليب الفنية والشخصيات والمشاعر ومدى توظيف الخيال في أعمالهم الفنية، وأيضاً أسهم في خلق موضوعات جديدة في الأدب، حتى أن الموضوعات التي كتب عنها الرجال كتبت عنها المرأة بطريقة مختلفة مغايرة للرجل.

فالرجل تحدث عن المرأة في كتاباته بشكل كبير، ولكن عندما تحدثت المرأة عن نفسها كان أثر كتاباتها كبيراً مقارنة بكتابات الرجل عنها، فالمرأة أصدق في التعبير عن مشاعرها، ونجد الكثير من النقاد والأدباء وجهوا نقدهم لكتابات المرأة واتهموها بالسلبية فالمرأة تناقش فقط قضاياها وتعزل مشكلاتها عن المجتمع، إن "إلحاح الرواية النسوية الشديد على معالجة الوضع النوعي الخاص للمرأة منعزلاً عن قضايا المجتمع والقبول بالمصير العام والاكتفاء بالاحتجاج السلبي"¹.

لقد كان نقداً لمضامين العمل الأدبي للمرأة؛ لأنها حصرت عملها الأدبي في موضوعات تخص المرأة، أيضاً كان هناك بعض النقاد الذين ذهبوا إلى نقد كتابات المرأة من الناحية اللغوية، نجد عبد الله الغذامي في كتابه اللغة والمرأة يرى أن المرأة برغم كتاباتها في العصر الحديث ودخولها عالم اللغة إلا أنها ما زالت غير قادرة على تأنيث اللغة ومواكبة الرجل في إبداعه فمن وجهة نظره ما زال الرجل هو المسيطر والأكثر إبداعاً في اللغة، "فالمرأة احتاجت وتحتاج إلى وعي خارق بشروط اللغة وقيودها

¹ المناصرة، حسين: النسوية في الثقافة والإبداع، ص115.

لكي تتمكن من إحلال (الأنوثة) بإزاء (الفحولة)¹؛ لذلك نرى الرجل بالنسبة للنقاد هو صاحب اللغة الأول وهو من وضع أسسها ولكي تتغلب المرأة على الرجل أو تجاريه فيها يجب عليها أن تخلق لغتها الخاصة وأن تكون على دراية ومعرفة باللغة كما الرجل حتى تستطيع أن تجاريه في كتاباته، بل يجب عليها في بعض الأحيان أن تكون أكثر إبداعاً من الرجل كي تتمكن من وضع ذكوريته ورفع أنوثتها في اللغة والكتابة.

وهناك من النقاد من وصف الأدب النسائي بأنه أدب حزين؛ لأن النساء في بداية كتابتهن كتبن عن ظلم المرأة ومعاناتها في المجتمع وعزلتها داخل البيت وتحديث عن السلطة الأبوية وعن سلطة الزوج والأخ والسلطة الذكورية بشكل عام في مجتمع لا يعترف إلا بالرجل؛ فهناك مواقف للنقاد تقرر بخصوصية كتابات المرأة، في مقابل آخرين لا يقرون بتلك الخصوصية نظراً لقلّة الأعمال الأدبية النسائية إذا ما قورنت بإنتاج الرجال، فالمرأة بحاجة إلى الكثير من الوقت حتى تؤنث اللغة وتوازي الرجل في لغته "وإنه لمن الجلي أن تأنيث اللغة أو في الأقل أنسنثها لن يتحقق إلا بعد أن تكتنز الذاكرة الثقافية بالمعنى المؤنث والأنوثة، وهو شرط لم يتحقق بعد ولكن المرأة الجديدة تسير باتجاهه بوعي واضح وإبداعية وثقة"².

الأدب النسوي

في القرن التاسع عشر ظهر مصطلح النسوية كحركة اجتماعية تتمثل في حقوق المرأة وذاتها ودورها في المجتمع³، وبقي هذا المصطلح محط إشكال لعدم قدرة الحقل الدلالي على ضبطه بشكل دقيق⁴،

¹ الغدامي، عبد الله: المرأة واللغة، بيروت: المركز الثقافي العربي 2006م، ص11-12.

² الغدامي، عبد الله: المرأة واللغة، ص235.

³ ينظر: الخولي، يمني طريف: النسوية وفلسفة العلم، مؤسسة هنداي، 2017، ص11.

⁴ السيف، خالد عبد العزيز: إشكالية المصطلح النسوي دراسة دلالية المملكة العربية السعودية، الدار العربية للطباعة والنشر، ط1، 2016، ص42.

أما في عصرنا الحديث ظهر الأدب النسوي الذي صبَّ جلَّ اهتمامه على محاربة الرجل والخطِّ من قيمته وتحطيم صورته، وهذا أمر طارئ في الأدب النسوي؛ إذ يجعل الرجل موضوعاً للكتابة بعد أن كان هو الكاتب الذي يشكِّل الأدب وفق أهوائه ورغباته، وقد رسمت المرأة للرجل في روايتها صورتين: صورة إيجابية وأخرى سلبية، لكن قبل الخوض في الحديث عن صورة الرجل لا بد وأن نتطرق إلى الحديث عن الأدب النسوي من حيث صفاته وأهدافه وأثره في صورة الرجل.

فالأدب النسوي هو أدب خاص بكتابات المرأة والمضامين التي تناولتها هذه الكتابات، ويعكس الطبيعة الأنثوية لها¹، وفي العصر الحديث ظهر الكثير من الأدبيات اللاتي كتبن في أشكال الأدب كافة؛ وهناك أسس يجب أن تتوفر في المرأة حتى تصبح كاتبة وناقدة؛ فالمرأة الكاتبة يجب أن تكون واعية سياسياً واجتماعياً حتى تملك القدرة التي تؤهلها للدفاع عن قضاياها في المجتمع وإبراز مشكلاتها، بما فيها صورة الرجل وجدليته مع المرأة في ذلك المجتمع، كما يجب عليها أن تمتلك مقومات الإبداع والكتابة إلى جانب وعيها التام بمحيطها لتخلق عملاً إبداعياً يعمل على تغيير أفكار واتجاهات المجتمع الظالمة التي ترفع من قدر الرجل على حساب المرأة.

وقد وقف الكثير من النقاد حول مصطلح الأدب النسوي وعرفه الكثير منهم كل حسب رأيه ودراسته؛ فكتابات المرأة تعبر عن أفكار المرأة وطبيعتها ومشاعرها وقضاياها بصورة دقيقة أكثر، وتنصف المرأة أكثر من كتابات الرجل عن المرأة؛ لأن المرأة تفهم نفسها أكثر من أن يكتب عنها رجل، وترسم صورة جديدة للرجل مختلفة تماماً عن الصورة التي رسمها الرجل لنفسه في كتاباته.

¹ ينظر: يقطين، سعيد: قضايا الرواية العربية الجديدة، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، 2012، ص207.

وهناك من وصف الأدب النسوي بأنه "مصطلح جديد، لافِت للنظر، له طبيعة جمالية تتبعث من خصوصية حياة المرأة الذاتية وعلاقاتها الاجتماعية؛ فهي مع هذا المصطلح خرجت من عصر الحريم المحجوب إلى عصر القلم باحثة عن الحرية، فقد كانت تعيش في الحريم حياة ترسمها صور الغانيات والجواري، والرجل لا يراها إلا متعة له يبعدها عن ضياء العلم والحرية، ويحيطها بسياج كثيف من الجهل والجمود، فلا يظنها أهلاً لأي حق من حقوق الإنسان، فإذا بها تبدأ طريقها إلى المدرسة، فإذا مضت في خطواتها تواجه الحياة لم تلبث إلى أن تصطدم بكثير من المتاعب والآلام والأحداث والأزمات، وإذا بها تجد قلمها لتصوير حياتها وآلامها"¹؛ فكتابة المرأة وتصويرها لواقعها وتجسيد معاناتها بالكتابة، كانت في البداية لتحطيم الصورة النمطية للرجل، وخطوة للتخلص من سطوته، وخلق صورة جديدة له تخرجه من تميزه عن المرأة لتجعله مساوياً لها في المكانة.

فكتابة المرأة تُعدّ تهديداً لمكانة الرجل ولصورته النمطية السائدة في الأدب، بل ثورة نسوية لتحطيم أسطورة الرجل، الذي يتفرد بالمكانة والتميز، الرجل الذي يقده المجتمع في حين يلقي بكل أخطائه ومشكلاته على عاتق المرأة، لذلك أظهر الأدب النسوي لنا صورة جديدة تضع الرجل في مكانه الصحيح، وتظهر تلك الصورة السلبية والنماذج السيئة التي أخفاها المجتمع وأبرز الرجل بطلاً وأسطورة لا يعيبه شيء في حين حاسب المرأة على أتفه الأشياء وبالغ في تصوير أخطائها.

لقد حرر الأدب النسوي المرأة من عبودية الرجل والمجتمع، ونقلها من جدران البيت وتقاليده العائلية وقوانينها الصارمة، إلى عالم حرّ هي السيدة فيه وهي صاحبة القرار التي تطلق أحكامها على الرجل وتحاصره بعد أن كان في كتابته هو صاحب القرار والناقد الدائم للمرأة وأخطائها، فكان دائماً يواجه

¹ مناصرة، حسين: النسوية في الثقافة والإبداع، الأردن: عالم الكتب الحديث 2008م، ص66.

أصابع الاتهام للمرأة ويحملها مشاكل المجتمع، أصبحت المرأة هي التي تهاجمه بكتاباتهما، ليتقبل هو الأمر مرغماً من خلال واقع جديد فرضته عليه مكرها.

لقد تعددت التعريفات لمصطلح الكتابة النسوية فهناك من جعلها تقتصر على النساء فقط، وهناك من قال إن الأدب النسوي هو الأدب الذي يتناول قضايا المرأة المختلفة، سواء كان الكاتب رجلاً أم امرأة، " إن الرواية لا تكون نسوية لمجرد أن كاتبها امرأة، بل لا بد للرواية التي تحمل صفة نسوية أن تكون معينة بصورة جزئية أو كلية بطرح قضية المرأة بالمعنى الجنسوي أو الجندي، وليس تصنيفاً طبيعياً لوجود شخصيات من الرجال أو النساء داخل النص الروائي، ومن هنا فإن الكثير من الإبداع الروائي الذي كتبه المرأة لا يندرج تحت ما يسمى بالرواية النسوية"¹، وقد اختلف النقاد في فهمهم وتعريفهم للأدب النسوي، وانقسموا إلى ثلاثة آراء؛ فمنهم من قال هي الأعمال التي تجعل موضوع المرأة أساسياً في السرد، ومنهم من قال إن أي عمل أدبي انتجته امرأة هو أدب نسوي، وآخرون ذهبوا إلى القول إنه أي عمل يتناول قضية المرأة بغض النظر عن جنس المؤلف أكان رجلاً أم امرأة.

بدأت الأنظار في العصر الحديث تلتفت باهتمام إلى كتابات المرأة خصوصاً في مجال الرواية، إذ شهد العديد من الروائيات الصاعدات في دول عربية مختلفة، "يمكن الحديث عن اتجاهات نسوية لها رمزيها في الثقافة العربية، كأن نشير من خلال ذلك إلى مجموعة أسماء جريئة في طرحها الثقافي النسوي مثل: كوليت خوري وليلى عسييران في لبنان، ونوال السعداوي في مصر، وغادة السمان في سوريا، وفاطمة المرنيسي في المغرب، وسحر خليفة في فلسطين، وليلى العثمان في الكويت..."² فهذه الأسماء أسهمت في نقل الأدب نقلة نوعية وظهور الفكر النسوي الذي يدعو إلى التحرر.

¹ أبو نضال، نزبه: تمرد الأنثى، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2004م، ص11.

² مناصرة، حسين: النسوية في الثقافة والإبداع، ص3.

وقد كثر الجدل حول هذا الأدب، وانقسم الأدباء والأدبيات بين مؤيد ومعارض للأدب النسوي، كما كثر المحللون والناقدون لأعمال المرأة الأدبية، وقد كان أصل الخلاف على قبول أو رفض الأدب النسوي يتمثل في عدم وجود اختلاف في الجماليات والأساليب الفنية بين كتابة الرجل والمرأة فالاختلاف كان فقط في المضامين إذ تناولت المرأة مواضيع ومشكلات تخصها على عكس الرجل الذي كتب في مشاكل المجتمع بشكل عام من ضمنه المرأة، فلو قارنا أعمال النساء مع الرجال فإننا لن نجد اختلافاً في المعايير الفنية والجمالية للأدب سواء أكان شعراً أم رواية؛ فمقومات الشعر والرواية عند الرجال هي نفسها، أما الفريق المؤيد يقول إن لكتابات المرأة لمسات فنية وجماليات سردية خاصة في الكتابة بسبب اختلاف طرحها واختلاف أفكارها ومواضيعها عن الرجل.

الفريق المعارض لمصطلح الأدب النسائي

ينطلق أصحاب هذا الرأي من رفضهم لتقسيم الأدب، فالأدب بأشكاله الشعرية والنثرية المختلفة هو فن واحد سواء أكتبته امرأة أم رجل، وأصحاب هذا الرأي يرون في تقسيم الأدب حسب جنس كاتبه انقصاص من مكانة المرأة والتمييز بينها وبين الرجل، فالمرأة دائماً تطالب بالمساواة وعدم تفريقها عن الرجل، وتقسيم الأدب نفرق بين الرجل والمرأة، "الأدب ليس له جنس، كما أن المشاعر الإنسانية ليس لها خريطة ولا توجد تفرقة بين ما يكتبه الرجل أو المرأة، وإنما مناط التفرقة يكمن في هل العمل يدخل في عداد الإبداع الأدبي أو لا"¹؛ فالأدب واحد والمعيار الذي نحكم به على الأدب هو الجودة الفنية، فلا فرق بين كتابات المرأة والرجل إلا من ناحية جودتها الفنية؛ لذلك لا يوجد "مفارقة بين الروائي والروائية إلا من ناحية الظروف الاجتماعية فالمرأة العربية من وجهة نظره إمكانية كالرجل، ليس كقاصة أو روائية فحسب، بل في أي مجال وعلى أي مستوى.. إن أعمال (غادة السمان)،

¹ مناصرة، حسين: النسوية في الثقافة والإبداع، ص 119.

(عروسية النالوتي)، (سحر خليفة)، (ليانة بدر)، (آسيا جبار) وسواهن تقف على قدم المساواة مع أعمال الكاتب العربي الذكر، والفروق الروائية التي يمكن أن تلاحظ مثلاً بين (منيف) و (محفوظ) أو بين (سحر خليفة) و(وكوليت خوري)¹؛ فالاختلاف الذي نلاحظه بين الروائيين في كتاباتهم هو نفس الاختلاف الذي يمكن أن نلاحظه بين الروائيات، فالمرأة لا تختلف إلا من ناحية ظروفها ومشكلاتها الاجتماعية، لا تختلف في معايير الكتابة والجودة الفنية.

وهناك العديد من الأسباب التي تدفع المعارضين للأدب النسائي إلى إنكارهم لهذا التقسيم وهو أن كتابة المرأة كانت عبارة عن "نوع من التمرد، أو ممارسة للحرية في أزهى صورها، حيث إن إحساس المرأة المبدعة بتفردا ووجودها، يمثل نوعا من الضمير العام، الذي يجاوز بفكره التحرر من قيد الرجل، إلى تحرر من قيد الحياة كلها: الواقع، الوطن، النفس..."²؛ فالرجل في المجتمعات العربية يعاني كما المرأة؛ فإذا كانت المرأة تعاني من سطوة الرجل وظلم المجتمع، فالرجل يحمل هم الوطن ويعاني سياسيا إذ إن هناك الكثير من الأسرى في السجون، كما سقط كثيرٌ منهم شهداء في مواجهة الاحتلال، حتى أن الرجل يقف في وجه تكميم الأفواه والحكومات الظالمة وحده دون المرأة، نستنتج أن كتابة المرأة تشابهت مع كتابات الرجل في المضمون وعالجت نفس القضايا التي عالجت كتابات الرجل، فكلاهما يعيش في نفس المجتمع ويواجهان الكثير من المشاكل المشتركة التي لا تميز الرجل عن المرأة.

صحيح أن المرأة قدمت في سبيل الوطن، لكن الرجل حمل الهم الأكبر على عاتقه، أما من الناحية الاجتماعية فالرجل يعاني من إعالة أسرته إذ يعيش الفقر، والبطالة، فإذا كانت المرأة تصور همومها

¹ مناصرة، حسين: النسوية في الثقافة والإبداع، ص88.

² شمس الدين، موسى: تأملات في إبداعات الكاتبة العربية، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997م، ص15.

الاجتماعية والوطنية والسياسية فالرجل أيضا يحمل نفس الهموم - على نطاق أوسع من المرأة - يجسدها في كتاباته، فهذا التشابه في القضايا والهموم يقف عائناً أمام تمييز الأدب النسائي عن أدب الرجال.

لقد كان هناك كاتبات نساء وقفن ضد تقسيم الأدب وضد مصطلح الأدب النسائي، فهو من وجهة نظرهن تمييز بين الرجل والمرأة، وهذا التقسيم يحط من مكانة المرأة، ويقف عائناً أمام تحقيق الهدف من كتاباتهن التي تهدف إلى إعلاء شأن المرأة والتخلص من النظرة الدونية لها في المجتمع، وجعلها متساوية مع الرجل في كل شيء، فمن الكاتبات اللواتي رفضن هذا التقسيم كانت لطيفة الزيات التي ترفض أن "تدرج في قائمة الأدب النسائي خوفاً من احتقار ما تكتبه المرأة من قبل الوعي النقدي الذكوري؛ حيث كانت الثقافة الذكورية ترى كتابة المرأة انعكاساً سطحياً وعاطفياً لتجربتها الأنثوية التي لا تلامس هموم الرجل أو المؤسسة المهنية الوطنية لضيق تجربة المرأة وانعدام خبرتها، وكان العائق الأول والرئيس الذي يحد من فاعلية المرأة هو أنوثتها التي حقرت إبداعها من جهة وعوقته من جهة أخرى"¹؛ فرفضها لمصطلح الأدب النسائي كان فقط لمجرد الخوف من سهام النقد الذكورية التي سوف تسلط على الكتابات النساء، وتتهمها بالسطحية وعدم ملاستها للواقع ولقضايا الوطن، وأن مشكلات النساء لا ترقى إلى الهم الوطني الذي يكتب عنه الرجال.

أيضا الكاتبة (ريتا عوض) التي وقفت معارضة لمصطلح الأدب النسائي الذي يهدم الجهود التي بذلتها المرأة لتصل إلى مرحلة المساواة بينها وبين الرجل، "فالمرأة حققت مساواتها بالرجل في الحرية والاستقلالية والتعليم والعمل المنتج مما حقق لها إنسانيتها في المجتمع، وبذلك يصبح التوجه للحديث عما يسمى بالأدب النسائي يشير إلى أن إبداع المرأة ما يزال يطرح كظاهرة استثنائية أو غير عادية

¹ مناصرة، حسين: النسوية في الثقافة والابداع، ص 87.

أو حتى لا طبيعية بينما من المفترض بعد مرور زمن لا يعد قصيراً على اقتحام المرأة عالم الإبداع وإنجازاتها فيه أن ما كان ظاهرة غريبة أصبح أمراً اعتيادياً فإبداع المرأة كإبداع الرجل، صيغة إنسانية للتجاوز مع النفس والحياة والوجود من خلال اللغة والتقاليد الأدبية والتراث القومي، هذا التوجه يشير أيضاً بأن المرأة لم تقتنع تمام الاقتناع بمساواتها بالرجل وما تزال تطرح نفسها وإنجازاتها من وجهة نظر جنسية تكشف إقراراً -ولو ضمناً- بدونيتها ولم تصل إلى تحقيق القناعة بإنسانيتها المتجاوزة الانقسام الجنسي والمتعالية عليه¹ فهذا التقسيم للأدب نتج عنه عدم مساواة المرأة مع الرجل، إذ يجعله أقل منه مكانة حتى في كتاباتها.

أما الكاتبة سلمى الجبوسي فتري أن " تقسيم الأدب إلى رجالي ونسائي تقسيماً خاطئاً ومعوجاً؛ لأنه لا يحافظ على استقامة الأمور من وجهة نظرها؛ لأن القضية يجب ألا تؤخذ من منظور جنس الكاتب، بل تؤخذ من منظور الأدب الجيد والأدب الرديء في المضمون والموهبة المبدعة سواء أكان الكاتب أديباً أم أديبة، ويؤكد فكرتها هذه (سميح سرحان) و(سكينة فؤاد)²، فسلمى ترى أن المعيار الاملل والمنصف للحكم على جودة العمل الأدبي يتمثل في الموهبة والإبداع بغض الطرف عن جنس الكاتب، ليس من ناحية جنس الكاتب المنتج لهذا العمل، وأيضاً من خلال مضمون الأدب وما يحمله من أفكار جيدة وأهداف تخدم مصالح المجتمع وتنمي أفكاره وتقوده نحو مستقبل أفضل.

نستنتج من خلال الآراء المعارضة لمفهوم الأدب النسائي، أن سبب معارضتها يتمثل في أنها ترى في هذا التقسيم الجائر القائم على جنس الكاتب سعياً إلى التفريق بين المرأة والرجل، وبالتالي تقديم الرجل عليها، في حين أن الهدف من الأدب هو إلغاء هذا التفريق، كما أن هذه المسميات وغيرها

¹ مناصرة، حسين: النسوية في الثقافة والابداع، ص88.

² المصدر السابق، ص89.

تضر بالأدب وتلغي كثيرا من قواعده في تعامله مع النصوص الأدبية المختلفة؛ إذ لا يلتفت النقد في تعامله مع النصوص الى جنس الكاتب بل يحتكم إلى جودة النص وبلاغته.

الفريق المؤيد لمصطلح الأدب النسائي

في المقابل كان هناك فريق أيدّ تقسيم الأدب حسب جنس الكاتب، وقد كان لها قول ووجهات نظر في ذلك، يدعو أصحاب هذا الرأي إلى استقلالية المرأة، فهم يرون في كتابات المرأة جماليات خاصة تتفرد بها عن كتابات الرجل لا يمكن أن نساويها بكتابات الرجل ونمزجها معها في بوتقة واحدة بل لا بد من التفريق بين الكتابتين، ومن أبرز هؤلاء كانت (حمدة خميس) التي تقول "إن أدب المرأة - واقعاً ومصطلحاً - يصحح مفهوم الأدب الإنساني الذي يؤكد على قيمة الإنسان وقدرته على تحقيق ذاته. كما أنه يضيف إلى الأدب السائد نكهة مغايرة ولغة وليدة ويغنيه ويتكامل معه"¹، فكتابات النساء من وجهة نظرها تغني الأدب وتضيف إليه شيئاً مختلفاً عن أسلوب الرجل في الكتابة؛ فللمرأة لمساتها الخاصة ومشاعر تختلف عن الرجل في التعبير عنها.

وكان من الكاتبات اللواتي شجعن على اطلاق مصطلح الأدب النسائي (بثينة شعبان) فهي ترى أن الأدب النسائي "يعبر عن مدى وعي المرأة لأبعاد العلاقات الاجتماعية وجذورها، والمغزى البعيد للحدث السياسي ونتائجه الممكنة وفهم ما أسهمت به الحساسية النسائية من إغناء للبعد الاجتماعي والسياسي والموضوعي للعمل الأدبي، يجعل ولا شك من هذه الصفة (نسائي) صفة قيمة، يحق للكاتبات أن يفخرن بها بدلاً من أن يخشينها ويتجنبنها"² فهي ترى في الأدب النسائي انجازاً قيماً

¹ مناصرة، حسين: النسوية في الثقافة والابداع، ص93.

² المصدر السابق، ص94.

حققت المرأة، فهي تشجع النساء على الفخر بهذا الإنجاز الذي يرفع من قيمة عملهن وكتابتهن والحفاظ عليه من أن يختلط بكتابات الرجل التي تقتقد إلى مثل تلك السمات.

أما من الأدباء الرجال فنجد (ميخائيل عيد) الذي يساند ويؤيد تقسيم الأدب الذي يجعل للنساء أدباً خاصاً يميزهن عن الرجال، يقول: " من يستطيع أن ينكر أن هناك فروقاً في الأدب.... وما الضير في أن يلتقي الأدب النسائي في العموميات مع أدب الرجال، ويختلف عنه من حيث بعض الخصوصيات التي تخص بها النساء دون الرجال " فهو يرى أن أدب النساء يلتقي مع أدب الرجال بالشكل والمعايير الفنية العامة ويختلف من ناحية المضمون فمواضيع النساء تختلف عن الرجال.

ومنهم أيضاً (توفيق بكار) الذي يعدّ من المؤيدين للأدب النسائي، فهو يرى أن الرواية النسائية " فيها طرافة من حيث إنها تلقي على واقعنا أضواء جديدة، فكأننا أصبحنا مع هذا الإبداع ننظر إلى أنفسنا ومجتمعنا وتاريخنا بعينين اثنتين، لا بعين واحدة ونعيها بعقلين ونذكرها بحسين"¹، فكتابات النساء تجعلنا نرى مشاكل المجتمع وقضايا الوطن من زاوية أخرى تختلف عن نظرة الرجل، الذي ترى الأحداث وتصورها من زاوية مختلفة قد تغفل عن أشياء مهمة من تفاصيل المجتمع.

ويرى حسين مناصرة أن المرأة "تسعى إلى أن تكون متمردة على الرؤى الذكورية وهيمنتهم على العالم، وعلى أساليبهم المألوفة والمهيمنة في كتاباتهم"²؛ فالمرأة تحاول أن تخلق عالماً جديداً من الكتابة بمفاهيم ورؤى مغايرة للرجل لتصل إلى التقليل من الهيمنة الذكورية على الأدب وبذلك تستطيع أن توصل نظريتها وأفكارها للمجتمع وللمرأة نفسها.

¹ حامي، خديجة: سرد النساء العربي بين القضية والتشكيل: روايات فضيلة الفاروق نموذجاً، رسالة ماجستير منشورة، الجزائر: جامعة مولود معمري 2013م، ص18.

² مناصرة، حسين: النسوية في الثقافة والإبداع، ص66.

ومن خلال هذه الآراء المؤيدة لتجنيس الأدب نجد أن شريحة عريضة من الأدباء الرجال والنساء على حد سواء يؤيدون فكرة تخصيص كتابات النساء وحصرها في أدب خاص هو الأدب النسائي، وحجتهم في ذلك أنهم يرون فيها جديداً يضاف إلى الأدب، ونظرة ورؤية مغايرة عن الرجل تعمل على إيصال الفكرة للقارئ بطريقة تختلف عن طريقة الرجل، كما يرون أن المرأة تستخدم الجماليات والصور الفنية بأسلوب تختلف فيه عن الرجل.

وقبل أن ندرس صورة المرأة ونعرّفها، لا بد من الوقوف على مفهوم الصورة، فالصورة كما جاءت في تاج العروس: الصورة بالضم: الشكل والهيئة والحقيقة والصفة¹ أما في لسان العرب: صور من أسماء الله تعالى: المصور وهو الذي صور جميع الموجودات، ورتبها فأعطى كل شيء منها صورة خاصة وهيئة مفردة يتميز بها على اختلافها وكثرتها².

الصورة اصطلاح

ولا بد لنا أن نفرّق بين مصطلحين يعملان على تشكيل الصورة وهما التصوير والتصور، فالتصور قائم على الخيال وعلى شيء غير محسوس يجول داخل العقل، والتصوير هو الشكل الذي جسده الأديب أو الفنان لما جال في خياله وفكره، فأخرج لنا من أفكاره وخياله عملاً فنياً أبدع في تصويره في الشعر أو الرواية أو الفن، فكل هذه المجالات يبرز فيها مصطلح التصور والتصوير، "أما التصوير فهو إبراز الصورة إلى الخارج بشكل فني، فالتصور إذا عقلي أما التصوير شكلي".

¹ الزبيدي، محمد المرتضى: تاج العروس من جواهر القاموس، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، مج9، مادة صور.

² منظور، ابن: لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط2، مادة صور.

أما الصورة تمثيل بصري لموضوع ما وتعتبر المعارضة بين الصورة والمفهوم عند باشلار أساسية لأنها تسمح بفهم تنظيم الانعكاس عبر وجهين فالصورة إنتاج للخيال المحض وهي بذلك تبدع اللغة وتعاض وتعارض المجاز الذي لا يخرج اللغة عن دورها الاستعمالي¹.

¹ علوش، سعيد: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، ص136.

الفصل الأول

صورة المرأة في رواية السقوط في الشمس

تعدُّ المرأة ركيزة أساسية من ركائز المجتمع؛ لما لها من أدوار مهمة تؤديها توزعت على مجالات الحياة كافة، وقد تركت من خلالها أثراً في كل زاوية من زوايا المجتمع، فهي الأم والأخت والزوجة والحبوبة، فلم يكن دورها دون دور الرجل في المجتمع بل العكس من ذلك تماماً إذ لها الأثر الأكبر في المجتمع وفي الرجل نفسه، فقد كان لها الأثر على العقول والقلوب وتركت بصماتها على المجالات كافة.

صورة المرأة التقليدية المحافظة

فهذه المرأة تحكمها عادات وتقاليد المجتمع، ولا تستطيع أن تتخذ قراراً فيما يخص حياتها، وليس لها الحق أن تحلم أو تعشق، وتتصف هذه المرأة بالخنوع والخضوع لسيطرة المجتمع، حتى وإن كانت كارهة رافضة لهذه الأعراف فهي لا تعترض، وهي تولي أهمية بالغة لنظرة المجتمع لها؛ فلا تجرؤ على الحب أو العشق حتى وإن أحببت فهي لا تبوح بحبها بل تبقيه في قلبها طي النسيان، مسلمةً أمرها للقدر وللنصيب والحظ، وليس من حقها أن تختار شريك حياتها؛ فولي أمرها يختار ويقرر وهي عليها الطاعة باختصار هي المرأة التي تقبع خلف قيود "تابوهات" المجتمع الثلاثة: الدين والجنس والسياسة، ومن أهم الأدباء الذين كتبوا عن المرأة التقليدية، محمد حسين هيكل في روايته (زينب) فزينب بنت الريف والطبيعة كانت جميلة، وقد أحببت زينب عاملاً زراعياً، لكنها لم تتزوج وتزوجت شخصاً آخر، فزينب تمثل المرأة التقليدية بكل صفاتها فهي أحببت وأخفت حبها وتزوجت زوجاً تقليدياً لا رأي لها، لكن في الرواية التي بين أيدينا "السقوط في الشمس" لا نجد صورة المرأة التقليدية حاضرة بقوة، فسواء الشعلان تعمدت عدم التركيز على المرأة الضعيفة المستسلمة، التي تخاف المجتمع

والعادات وترفض التغيير، وقد ذكرت في روايتها صورة واحدة أخفت شخصيتها وتكررت باسم رجل لتستطيع نشر كتاباتها، وهذه الصورة ظهرت بين السطور مرة واحدة فقط في المسرحية التي ستمثلها مروة عن هذه الشخصية.

وهذه المرأة هي (جورج صاند) التي تنكرت خوفاً من المجتمع الذي يمنع مشاركة المرأة في الأعمال الأدبية "أتساءل ما هو موضوع هذه المسرحية؟ أسيكون عرضاً لحياة الكاتبة جورج صاند؟ التي أنكرت أنوثتها، وكتبت تحت اسم مستعار، كي تستطيع أن تنشر كتابتها الأدبية في فترة كان الأوروبيون يرفضون أن يتقبلوا المرأة الأدبية"¹.

قلما نجد في روايات النساء ذكر لهذه الصورة، فروايات النساء تركز على صورة المرأة المتحررة الواعية المثقفة، وتركز على صورة المرأة المتمردة على العادات والمجتمع وكل ما يقيدها، لهذا نرى أن الشخصيات النسائية في رواية السقوط في الشمس، شخصيات متحررة ومنفتحة في علاقتها، فلا نجد لها ملتزمة في لباسها، أو في علاقتها مع الرجال، ولا نرى في الرواية تسلطاً أبوياً يفرض قيوداً على المرأة، فيمكن أن نقول إن جلّ الروايات النسوية كُتبت من أجل تحقيق هذه الغاية والسعي إلى إبرازها وهي تحرير المرأة من سطوة الرجل وقيود المجتمع.

صورة المرأة العاملة والمناضلة

سعت المرأة إلى تحسين ظروفها، وحاولت الاعتماد على نفسها والتخلص من اعتمادها على الرجل في أمور حياتها في مأكليها، ومشربها، وملبسها، فوجدت في العمل قوة وتحقيقاً لذاتها وطموحها، فحين انطلقت إلى العمل متساوية مع الرجل في ذلك، أصبحت ذات قرار ومسؤولية في المجتمع،

¹ الشعلان، سناء: السقوط في الشمس، دار الوراق للنشر والتوزيع، ص136.

وأصبحت أقوى شخصية وقيادية، فهناك فرق في المجتمع بين المرأة العاملة وغير العاملة فرق في المكانة وفي نظرة المجتمع وفرق في احترام الرجل لهذه المرأة وتقديرها، وبهذا تكون المرأة انتقلت نقلة نوعية من خلال مشاركتها في العمل، ففي رواية السقوط في الشمس نجد شخصية (أسرار) التي تمثل المرأة العاملة المناضلة، فهي تحب الزراعة والعمل داخل بيتها وخارجها محقة بذلك قدرا كبيرا من التحرر، فعملت داخل بيتها مستتباً شتوياً، وتتنقن عمل الزراعة بشكل جيد، وقادرة على اختيار الأصناف التي ستزرعها فهي لا تقل عن الرجل قدرة أو خبرة في التعامل مع مزارعاتها بل تفوقت في ذلك على بعض الرجال، "لم تتضج أي من الفواكه أو الخضراوات لهذا الموسم بعد، ولكن زهور الفواكه تملأ المكان بالأطياف والروائح العذبة، تحدثني لساعات عن أصناف وسلالات تلك الأشجار"¹.

وقد مهد عمل المرأة وتفاعلها مع بيئتها لخلق لنا صورة أخرى للمرأة هي صورة المرأة المناضلة التي تتحدى ظروف الحياة، وتقف جنباً إلى جنب في النضال والمقاومة، وتكون جزءاً مهماً في الجانب الوطني والسياسي وعنصراً فاعلاً تناضل من أجل أسرتها وأطفالها وكذلك من أجل وطنها كما أصبحت تشارك في المظاهرات السياسية والاحتكاك المباشر من المحتل فسقطت منهن الشهيديات ودخلت السجن وعانت القهر والعذاب في سبيل وطنها.

ففي رواية السقوط في الشمس كان هناك ظهور للمرأة المناضلة التي تمثلت في شخصية (نورما) التي كانت تناضل وتدافع عن قضيتها، (فنورما) أرمنية، تنتمي بشدة إلى وطنها، وتمسكة بلغتها وتحمل هموم شعبها الأرمني وقضاياها النضالية ومسايعه التحررية "تؤمن بقضية شعبها، تقدر تاريخه وتراثه، ترطن من وقت إلى آخر بكلمات من لغتها التي درستها قراءة وكتابة في طفولتها، لا

¹ الشعلان، سناء: رواية السقوط في الشمس، ص 84.

تتوي أبدأ أن تنسى ماضيها"¹ (فنورما) كانت تتحدث في كل مكان عن قضيتها وعن المذبحة التي أرتكبها الأتراك بحق شعبها، حتى أنها كانت دائماً تقف إلى جانب عيسى الشاب الفلسطيني، بسبب تشابه قضيتها بقضيته؛ فكلاهما يحمل هم الوطن، وكلاهما تعرض لنفس الألم، كانت تتمنى أن تتزوج من رجل مناضل مثل عيسى يحب وطنه ويدافع عنه، رجل محافظ ملتزم دينياً لا ينشغل عن قضايا بلده وهموم شعبه بشيء من متع الدنيا، "أنا فعلاً متحمسة لوطنية عيسى ولوطنية أمثاله لا أكثر، عندما أفكر في الزواج فلن أفكر إلا في رجل أرمني مسيحي، بل ومتدين جداً، لن أفكر بأي غريب، هكذا هم الأرمن يحبون بعضهم، وقد يحذرون الغرباء، هناك مثل أرمني يقول "فقير أرمني ولا غني غريب وأنا أوّمن تماماً بهذا المثل"²، فنورما منتمية بشدة إلى قضيتها وشعبها وعندما قلن لها صديقاتها بأنها تحب عيسى اعترضت وقالت إنها لن تتزوج إلا أرمنياً.

صورة المرأة المثقفة والواعية سياسياً

اختلف وضع المرأة الاجتماعي في العصر الحديث عن باقي العصور، فلم تعد المرأة رهينة المنزل محرومة من حقها في التعليم والتعلم، خرجت من بيتها تمارس حقوقها المطلقة في ذلك، فبدأت بالتعليم الذي كان ممهداً لظهور امرأة واعية مثقفة، فدخلت المدارس والجامعات، وشاركت في التعليم الذي أدى إلى ظهور أدبيات ومعلمات شاركن في الجانب السياسي الذي يخص قضايا الوطن تدافع عن وطنها كما الرجل توصل صوت قضيته إلى العالم، فأصبحت المرأة تخوض في عالم السياسة بل وتتخذ القرارات بهذا الشأن، فوجد الرواية العربية ركزت على هذه الصورة للمرأة بسبب أهمية مشاركة المرأة في النضال والكفاح إشراكها في قضايا الوطن، ودخول المرأة في مجال العلم والأدب

¹ الشعلان، سناء: رواية السقوط في الشمس، ص109.

² المصدر السابق، ص120.

جعلها قادرة على مواجهة الرجل والتصدي للموروث الفكري الذي رفع من شأن الرجل وجعله يسير المرأة وفق أهوائه دون أي اعتراض من المرأة، فعمل المرأة وتعلمها وثقافتها جعلها قادرة على إدراك ما لها وما عليها. الشخصيات النسائية في رواية السقوط في الشمس شخصيات مثقفة ويمثل هذه الشخصية البطلة فهي تدرس الفن ولديها ثقافة واسعة في الأساطير.

وهناك مروة التي تدرس المسرح وتتنقن فن التمثيل ولديها كم من الثقافة حول تخصصها، أما أسرار فهي مثقفة في مجال الزراعة ومتقنة لهذه المهنة وتعرف الكثير من المعلومات عن النباتات وأنس وفضيلة مثقفتان في مجال دراستهن في الجامعة، فكل هذه الشخصيات يدرسن في الجامعة ومن الطبيعي أن يكن مثقفات، وهن أيضاً مثقفات على الصعيد السياسي، إذ وقفن بجانب عيسى عندما اعتقل بسبب تعبيره عن رأيه، والتحدث عن قضيته فلسطين وعن معاناة أهله، فهن مدركات مثقفات سياسياً ويقفن في وجه الحكومة التي تكلم الأفواه؛ فهناك شخصية نسائية واحدة غير مثقفة تمثل المرأة السطحية التي لا تدرك شيئاً سوى المال والرجال وهذه الشخصية تجسدت في شخصية (شرف) التي مثلت صورة المرأة السيئة.

صورة المرأة السيئة

إلى جانب الصور الإيجابية والجيدة للمرأة التي حاولت الكاتبة إظهارها لتواجه بها سلطة الرجل وعُجُهيّة المجتمع لم يكن أمام الكاتبة المرأة بداً إلا أن تأتي على صورة مظلمة من صور المرأة حاولت الكاتبة المرأة أن توارى هذه الصورة خلف مجموعة الصور الحسنة للمرأة، إلا أن الرجل والمجتمع من خلفه أظهر هذه الصورة وغلبوها على ما سواها من الصور الإيجابية للمرأة فكانت صورة المرأة السيئة المرأة اللعوب المرأة التي تقيم علاقات عدة مع الرجال تخون زوجها، تتاجر بشرفها من أجل المال، كانت سبباً في تلوث هواء المجتمع مما أفسد على كثير من العلاقات الزوجية صفو

ودها حينما أقامت علاقات غير شرعية مع رجال تلك الأسر وهو نموذج حاصر في مجتمعاتنا العربية ففي رواية السقوط في الشمس التي حاولت فيها الكاتبة تقديم المرأة بأجمل صورها حتى تساعد في إمالة كفة موازنتها مع الرجل لصالحها لم تجد الكاتبة بداً إلا أن تقف على صورة المرأة السيئة حتى يستقيم المشهد وتكمل ملامح صورة المرأة في الرواية بالإضافة الى رغبتها في أن تكون عادلة في حديثها عن المرأة ناهيك عن أن هذه الصورة السيئة هي نتاج ظلم المجتمع وقهره، فعلى الرغم من سوء هذه الصورة وقبحها إلا أن الكاتبة استطاعت أن توظفها في سياق حديثها عن ظلم المرأة وقهرها وقد نجحت في ذلك.

وقفت الكاتبة في حكايتها على نوع من النساء السيئات تمثل في شخصية (شرف) التي استخدمت لها اسماً يناقض صفتها التي كان يجب أن تحمل معناه لولا تدخل المجتمع ليصبح يمثل بطاقة امرأة عديمة الشرف والأخلاق؛ فهي تقيم علاقات محرمة مع رجال عدة تتاجر بنفسها من أجل المال الذي حال المجتمع دون حصولها عليه بشرف، وقد كان لشخصية شرف حضور لافت في الرواية فهي تمثل الجانب المضاد والمعاكس لصورة المرأة الطاهرة العفيفة التي أحبت بصدق حافظت على نفسها، صبرت على الحب كانت تحلم بزواج مخلص وبيت دافئ وأطفال رائعون، فشرف كانت تقيم علاقة مع بطل القصة الذي كانت تعشقه البطلة (أرتميس)، وقد حملت منه ما أجبره على ترك حبيبته (أرتميس) ويتزوج من شرف؛ فكانت شرف سبباً في فراقهما وتدمير حُبهما، وكانت شرف تقيم علاقات مع العديد من الرجال وقد كان المال بوصلتها في اختيارها هؤلاء الرجال "يسألني عن شرف أجيئه عنها باقتضاب، أتخيل كم هو مناسب لها، ستعشق نقوده بشكل كبير، وستقدم جسدها رخيصةً مقابل أمواله، وهو مستعد دائماً للدفع وبكل سخاء"¹، لقد مثلت شرف صورة المرأة السيئة المقهورة وأيضاً

¹ الشعلان، سناء: رواية السقوط في الشمس، ص96.

العاجزة، فهي على الرغم من الظلم والقهر الذي أجبرت عليه إلا أنها لم تحاول أن تثور وتنتفض في وجه ذلك الظلم بل سلمت له ورضيت به على العكس من الصورة الايجابية التي تمثلت في صورة المرأة المتمردة.

أما كاظم وهو يتحدث مع أرتيميس وتسأله عن شرف "قلت له بفضل مفضوح: هل تعرفها؟ ابتسم، وقال لي بنظرة خليعة، تناسب اتساع عينيه وبروز محجريهما: لم أقابلها من قبل، ولكن من لا يعرف هذا النوع من النساء ¹ ف شخصية شرف شخصية مشهورة عند الرجال، ويعرفونها جيداً لكثرة علاقاتها مع الرجال، حتى أن النساء ينزعجن منها فهي تسبب دائماً المشاكل للعاشقين ف(أرتيميس) كانت دائماً تنزعج من زيارات شرف المستمرة لحبيبها الذي ترى أن شرف قد أفسدته عليها لكنها كتبت تلك الغيرة خوفاً على حبها له أن يندثر إذا ما كاشفته بالحقيقة، "أتأمل وجهك تتبدد ابتسامتي، أحادث نفسي: سأكون أفضل لو انقطعت زيارات شرف لك، ليتك تعرف أي الميمات أموتها عندما أراها تزورك، وتحضر كثيراً من مؤتمراتك أو في معارض الطلاب الفنية التي تشرف عليها" ² في أحداث الرواية تذهب (أرتيميس) لتزور حبيبها في مرسومه، فوجدت شرف عنده، وكان حبيب (أرتيميس) يقرأ الشعر لشرف التي لم تفهم منه شيئاً بل فهمته بشكل سطحي"، شرف كم أنت جاهلة! كدت أغضب من وجودك، لكن فكرك الضحل هو أكبر عقاب لمن أحب، عاقبيه أكثر، ودعي لغة الفراش لقلوب تعرف العشق، وتعرف قيمة الحياة" ³، فحبيبها كان يقرأ شعر عن الفراشة وشرف لم تفهم شيئاً من هذا الشعر وقالت ما هذه الفراشة الحمقاء هنا ترسم الكاتبة معلم آخر لصورة تلك المرأة السيئة وهي انعدام الثقافة والاطلاع، فهي امرأة عامية جاهلة، وهي بذلك تشير الى قضية مهمة وهي أن شرف لو نالت

¹ الشعلان، سناء: رواية السقوط في الشمس، ص74.

² المصدر السابق، ص81.

³ المصدر السابق، ص110.

حقوقها الكاملة في التعليم والثقافة ما كانت الآن على ما هي عليه، فهي المرأة السيئة التي تنغص على أرتميس حبها، وترعجها في حبيبها الذي لا ولن تكف عن ملاحقته والاتصال به "ليت حبك لي يجعلك ترفض أي مكالمات من شرف، أصبحت تكثر من مكالماتها لك"¹؛ فهي تغيض أرتميس بتصرفاتها ولا تكتفي برجل واحد بل تلاحق جميع الرجال.

صورة المرأة المتمردة

هي المرأة التي وقفت في وجه العادات والتقاليد والمجتمع، وهذه الصورة على النقيض من صورة المرأة التقليدية، فهنا المرأة تمردت ورفضت الاستسلام، وهناك أنواع لتمرد المرأة فهناك تمرد اجتماعي وتمرد ديني: أما التمرد الاجتماعي فكان تمرداً على عادات المجتمع وسلطة الأب وتحكمه، فالروايات تناولت هذه المواضيع بكثرة لتحارب هذه العادات وتخلص المرأة من الكبت ومن سلطة الأب، وكتابة المرأة عن هذه الظواهر يعد أكثر تأثيراً من روايات الرجل "كتابة المرأة عن الرجل معناه إنهاء تاريخ مديد من الوصاية والأبوة والسلطوية، هي القضاء على الفحولة وسلطان الفحل؛ لأنها تقتضي تحويل الفاعل إلى مفعول به، لكي يكون الكاتب مكتوباً ويكون سيد اللغة مجرد مجاز لغوي في خطاب مؤنث"² وظهرت المرأة المتمردة بكثرة في روايات النساء؛ لأنها تعبر عن واقع المرأة ورغبتها في التخلص من قيود المجتمع، وهناك تمرد آخر ظهر في روايات النساء وهو التمرد الديني حين تمردت المرأة على تابوه العيب والحرام " فالمنظومة الاجتماعية تفرض مجموعة أساليب قمعية تقهر الإرادة الأنثوية وتسعى لأجل مصادرة اختيارات المرأة منذ الطفولة، يتجلى ذلك من خلال حرمانها من اللعب جهراً، أو مع الذكور، والظهور والانكشاف دون ستر، والفصل والعزل الجنسي في مرحلة الصبا،

¹ الشعلان، سناء: رواية السقوط في الشمس، ص199.

² الغدامي، عبدالله: المرأة واللغة، بيروت: المركز الثقافي العربي، 2006م، ص189.

وتحديد حركة الفتاة وخروجها من البيت وحرمانها من التعليم ومواصلة الدراسة والعمل ومصادرة حرية اختيارها للزوج¹ وكل هذه القضايا الاجتماعية والدينية تظهر بكثرة في روايات النساء.

في رواية السقوط في الشمس نجد النساء فيها متحررات لا تحكمهن العادات والتقاليد وكذلك الدين، فهن متحررات في لباسهن، و في حرية الخروج متى شئن دون الخضوع لسلطة الرجل، متحررات في علاقتهن مع الرجال فالبطلة حينما ذهبت لتري حبيبها، لم تبالي بأحد ولم تأبه بنظرة المجتمع لها ولم تحسب حساباً لزوجها وأبنائها تركت كل شيء لأجل عشيقها "عندها سأقول لك غير مبالية بالدنيا كلها ونيرانها، بل غير مبالية بدموع أحلام وانكسارات زوجي وهمسات الأقارب وسخرية المعارف: لقد عدت"² فهي تمردت على كل العادات والمجتمع من أجل نظرة من حبيبها، والبطلة متحررة في لباسها غير ملتزمة بالعادات ولا بالدين، وأيضاً من صور تحررها علاقتها مع حبيبها فهي كانت تبادل الحب وتصرح بعشقها بكل جرأة وكانت تخرج معه وتذهب إلى بيته وكانت تقبله وتضمه "يستقبل تجويف فمك دمعة فرت سريعاً من عيني، أدفن رأسي في صدرك بعد أن أغرقته بقبلاتي، وتداعب شعري بضعف وتقول: جسدك بارد..³ وحين تسافر هي وحبيبها إلى إيطاليا تعجبها الحرية في تلك البلاد وعدم سؤالهم عن صلة قرابتهن عندما حجزوا غرفة في الفندق "في هذه البلاد لا يحتاجون إلى ورقة صفراء يوقع عليها رجل دين، ويشهد عليها غريبان كي يباركون العشق..⁴ فالبطلة ترفض كل العادات والتقاليد التي تقف في وجه عشقها، متحررة تملك قرارها بنفسها، وحين تتحدث عن (نورما) وهي أكثر شخصية متحررة في الرواية تقول "وأمثال نورما التي كانت تغرق المكان بضحكاتها اللعوب

¹ كاظم، عبدالله وآخرون: الأنثى تنوح بسيرتها إشكالية البوح وأنماطه في كتابة السيرة الذاتية النسائية، عدد 1، مجلد 15، مجلة القادسية، 2012م، ص 27.

² الشعلان، سناء: رواية السقوط في الشمس، ص 11.

³ المصدر السابق، ص 98.

⁴ المصدر السابق، ص 223.

التي سرعان ما تتعالى لأي همز أو لمز أو إشارة مثيرة من نوع خاص اعتادتها في بيئتها المتحررة نوعاً ما¹.

ومن الصور التي رسمتها الروائية للمرأة المتمردة في روايتها، صورة المرأة التي تطالب التحرر من قيود الزوجية، فهي لم تعد ترغب باقتصار علاقتها بزوجها فقط، فهي حرة في عشقها وعلاقاتها خارج حدود الزوجية التي تفرضها عليها العادات والتقاليد تقول: "لا أخشى فكراً وتقاليداً وعاداتٍ تطعم حبي للنار وتصادر جسدي بتهمة العشق، لكنني أكتفم على لقاءاتنا، لأنني غيورة، غيورة جداً"² لذلك وصفت بطلتها بالثائرة المتمردة؛ إذ ثارت على هذه العادات وأصبحت غير مبالية بها وبأصحابها تتخذ قرارها بناء على ما تراه مناسباً لها لا كما تقضي به العادات والمجتمع، ف(أرتيميس) هنا تعلل إخفاء حبها عن الناس ولقاء حبيبها بشكل سري لأنها تغار عليه، وأنها لا تخفي هذا الحب بسبب العادات والتقاليد فهي لا تخشى العادات والمجتمع ولا تأبه به وهذا يدل على تمرد أرتيميس وحريتها في أخذ القرارات.

صورة المرأة العاشقة

تناولت الروايات علاقة الحب بين الرجل والمرأة ، وقد توقفت الكاتبة على غير صورة من صورة المرأة العاشقة، فغالباً ما كان الحب غير مصرح به من قبل المرأة، فهناك صورة تضحي بها المرأة بحبها وتتزوج برجل آخر تحت سطوة العادات والتقاليد، ونادراً ما نجد صورة المرأة التي تصرح بحبها فهذا غير مسموح في المجتمعات العربية، لكن الروايات بشكل عام تطرقت إلى موضوع الحب وجسده في المجتمعات العربية لتؤكد على حق المرأة في الحب وفي اختيار الشخص المناسب لها مثلها مثل الرجل، وأيضاً تطرقت رواية النساء للحديث عن الحب ولكن عن طريق التلميح، فالحب مهم بالنسبة

¹ الشعلان، سناء: رواية السقوط في الشمس، ص17.

² المصدر السابق، ص166.

للمرأة الروائية، ونجد في رواية السقوط في الشمس صورة المرأة العاشقة حاضرة بقوة، فالرواية في الأساس حكاية عشق، والمميز في هذا العشق في الرواية أن البطلة لم تلمح وتواري حبها خوفاً من المجتمع بل كانت صريحة في حبها جريئة تريد أن تخبر الدنيا كلها بهذا الحب، وهذا ما ميز الروايات النسائية المعاصرة وهو البوح بالعشق وعدم إخفائه، فالكاتبة بدأت روايتها بكلمات عشق "لأن قلبي أهداني إليك، لأن روحك تسكن جسدي، لأن طيفك يلازمني أبداً، لأن كل ما صنعت يداي يحاكي رسم عينيك، أقول لك وأستثني كل البشر: إليك"¹؛ فالبطلة متيمة بحبيبها تعشقه حد الجنون، وتبوح بحبها في كل سطر وكل زاوية من هذه الرواية، وهي بتلك الصورة لا تصور نفسها فقط بل تصور رغبة كل النساء وتظهر للمجتمع مكنونات أنفسهن "أنا عشق نساء الأرض كله، أنا شوق نساء الأرض كله، أنا رغبة نساء الأرض كلها، تحاصر رجلاً واحداً.. نعم أنت"²؛ فمن شدة عشقها لحبيبها وصفت شوقها بشوق نساء الأرض قاطبة وقلبها يمتلأ عشقاً يفيض ليصبح كعشق كل نساء الأرض، وفي موضع آخر تقول: "أنا كنت شعباً من العشاق، هذا المحل يقات من عشقي"³ فهي تعشق بجنون، تعشق بقوة، وتكرر في الرواية أنها ولدت لكي تحب هذا الشخص فمهمتها على الأرض فقط عشق حبيبها، " فأنا بعثت إلى الأرض في مهمة واحدة: أن أحبك "⁴، "لقد خلقت لكي أحبك"⁵، وقد كررت هذه الكلمات كثيراً في الرواية فهذا الحب هو قدرها، وحياتها، فالمرأة العاشقة تتخلى عن كل الدنيا لأجل حبيبها فهي تركت أطفالها وزوجها فقط لتراه "عندها سأقول لك غير مبالية بالدنيا ونيرانها

¹ الشعلان، سناء: رواية السقوط في الشمس، ص3.

² المصدر السابق، ص5.

³ المصدر السابق، ص9.

⁴ المصدر السابق، ص16.

⁵ المصدر السابق، ص175.

بل غير مبالية بدموع أحلام وانكسارات زوجي وهمسات الأقارب وسخرية المعارف: لقد عدت¹ فالدنيا كلها في كفة وعشقها في الكفة الأخرى فهي لا تبالي بأحد سوى حبيبها.

فالمرأة العاشقة تحارب الدنيا، والمجتمع والأقارب وتضحى بعائلتها من أجل نظرة من حبيبها، غير مبالية بصفات حبيبها الذي خذلها مرات عدة، إلا أنها تبقى تحبه حد الجنون، دائماً تتغاضى عن زلاته، وتغفر هفواته، تقدم له الكثير دون مقابل منه، حتى أن بطلة الرواية كانت تتعاطف مع حبيبها حين يحزن لزواج شرف وكانت تواسيه، وقد استمعت له حين قرأ الشعر الذي كتبه لشرف "قد أبتك حبيبتني في ثوبها الأبيض عروساً كالقمر، كأردية السحر، أبتسم مقتولة، وأقول بنبرة أحاول أن تبدو حازمة: إذن فهي حبيبتك؟² فالبطلة دائمة الوقوف إلى جانب حبيبها لا تهمها نفسها بقدر ما تهمها سعادته، "أنا مهووسة بك..أما أنت فلا تحتل مثل هذا الهوس"³، "تراهن كثيراً على عشقي، أما أن أقل لهوك مع النساء، فهذا لم تراهن عليه أنت رجل لا تملك إلا أن تكون معشوقاً"⁴ تعشقه في كل حالاته، حين يسعدها، وحين يخذلها، وحين يحب أخرى، لا تقدر إلا أن تعشقه، فهو قدرها.

وبهذا نستنتج أن المرأة العاشقة تتمسك بحبيبها في كل الظروف، وتتغاضى عن كل زلاته فقط لتبقى إلى جانبه، لا يهمها من الدنيا سوى قربه، لا تهتم بخيانات الرجل المتتالية بقدر ما يهمها عشقها واستمرارها في تفوقها على العادات والمجتمع.

¹ الشعلان، سناء: رواية السقوط في الشمس، ص11.

² المصدر السابق، ص161.

³ المصدر السابق، ص79.

⁴ المصدر نفسه، ص79.

صورة المرأة الرمز في الروايات

تعد صورة المرأة الرمز من أهم صور المرأة في الرواية وأبرزها لما لها من حضور لافت في الرواية بشكل عام وفي الرواية النسوية بشكل خاص وذلك لما يحمله الرمز من دلالات وإيحاءات تخرج بالنص من سياقه المكتوب إلى سياق واسع لا نهاية لدلالاته، فقد استخدم الروائيون الرمز لإثراء النص الأدبي، فالرمز يعبر عن المشاعر والأحاسيس ويخوض في خفايا النفس وأعماقها، ويحمل دلالات عدة تجعل القارئ يؤوله حسب فهمه ومن زاوية قريبة من وجهة نظره وأفكاره، ويوحي الرمز داخل السرد إلى أبعاد ومعان عميقة من يصعب تجسيدها بصورة عادية فيكون الرمز أفضل وسيلة لتجسيد المعنى بصورة مبالغ وخيالية ودرامية أكثر من باقي الوسائل في الصورة الروائية.

ولأهمية الرمز نجد الروائيين قد عبروا عن صورة جديدة للمرأة وهي الصورة الرمزية للمرأة في الرواية فالمرأة رمزت في العديد من الروايات للوطن، وهناك نوع آخر استخدم في الرواية هو الرمز الأسطوري الذي شبه فيه المرأة بالآلهة، إذ نجد الكثير من الرموز الأسطورية التي تنقسم إلى دينية أو طبيعية تجسد الظواهر الطبيعية وأكثر ما يميز الأساطير أنها تقوم على الصراعات وقلب الأحداث من أحداث واقعية إلى أحداث درامية خيالية والأساس الذي انبثقت منه الأساطير هو "طموح الإنسان وآماله ومخاوفه والتي بنى عليها فلسفته المضادة للعقل، إذا جاز لنا أن نعتبر الأساطير فلسفة الإنسان القديم، والمادة التي كون منها عالمه الدينامي بوصفه الأنا الزاخرة بالحياة والعظمة والجلال"¹.

لقد حفلت رواية السقوط في الشمس بهذا النوع من الصور إذ نجدها وظفت الأساطير بشكل كبير فقد صورت المرأة في أكثر من موضع بالآلهة، فتارة تصورها بآلهة الجمال وتارة أخرى بآلهة القمر،

¹ عاطف، جودة نصر: الرمز الشعري عند الصوفية، بيروت: دار الأندلس، 1978م، ص31.

فبطل القصة أسمى حبيبته (بأرتيميس) "إلى الهتي الساحرة، إلى أرتيميس حتى ألقاك"¹ فهنا صور حبيبته (أرتيميس) آلهة القمر فهي تشبهها بالطهر والعذرية، والجمال وشبهها أيضاً بـ (إفروديتا) في جمالها "تركض عيناك في قسماوات وجهك، وتقول: عيناك الساحرتان، شعرك الهائج، بشرتك الوردية، أنفك.. فمك تشبهين (إفروديتا) هذا الجمال يحاكي آلهة للجمال"² إلا أن حبيبته رفضت أن يشبهها بـ (إفروديتا) على الرغم من أنها آلهة للجمال لكنها تصور المرأة اللعوب لها علاقات متعددة، وتعشق كل يوم رجلاً جديداً فهي غير مخلصة وحباها غير طاهر وليس عذرياً، فهي ترفض أن تكون مثل هذه اللعوب؛ لأنها مخلصة لحبيبها لا تحب سواه، وقد ذكرت الكاتبة أسطورة أخرى تشكل صورة جديدة للمرأة الخائنة التي ضحت بحبيبها من أجل المال، فقد طلبت منه حبيبته وردة حمراء، وكان ذلك في فصل الشتاء فحزن لأنه لن يستطيع أن يجد وردة حمراء، وحزن صديقه البلبل لأجله ووعدته بأنه سيجلب له وردة حمراء في الصباح، فخضب البلبل الوردية البيضاء بدمائه ومات، "حزن الفتى على استشهاد بلبله، ولكنه حمل الوردة، وذهب بها إلى فتاته التي كانت تراقص فتى غنياً، ورفضت أن تراقصه، حتى وردته الحمراء نظرت إليها بتقزز، وسرعان ما رآها الفتى تحت الأقدام تداس ويداس معها قلبه، وقلب بلبله الشهيد"³.

هذه الأسطورة تمثل المرأة الخائنة التي لا تعرف معنى الحب، ولا يهتمها شيء سوى المال، فرواية السقوط في الشمس وظفت الأسطورة بشكل لافت في تشكيل صورة المرأة، فتعددت الأساطير وكانت كل أسطورة تصور نموذجاً مختلفاً من النساء، ومن الأساطير التي صورت المرأة بشكل إيجابي أسطورة (فيليمون) وزوجته (برسيس) فهي نموذج للمرأة المحبة المخلصة لزوجها "تقول الأسطورة

¹ الشعلان، سناء: رواية السقوط في الشمس، ص58.

² المصدر السابق، ص60.

³ المصدر السابق، ص39.

الإغريقية إن (فيليمون) هو رجل عجوز قضى حياته مع زوجته المحبة (برسيس)، أحبت الآلهة طيبة نفسيهما وكرمهما، فطلبت منهما أن يتمنيا عليها، فطلبا أن يعيشا سويةً، وأن يجتمعا سوياً بعد الموت، فحولتهما إلى شجرتي سنديان متقاربتين متحابتين إلى الأبد¹ فهذه الأسطورة تسطر حب الزوجة وإخلاصها وتقانيها ورغبتها في البقاء مع زوجها إلى الأبد.

ومن الرموز الأسطورية التي استحضرتها الكاتبة للمرأة هي صورة المرأة آلهة الخصب؛ فهي مصدر الخصب والنماء، فهي التي تتجب الأطفال وتنتج القمح وتبتب العشب وتبعث الحياة، وفي استحضار هذا الرمز إعلاء لشأن المرأة ورفع من قدرها، تقول: "آلهة الخصب امرأة شابة بجسد ممشوق، شعرها الأسود يصل إلى أخمص قدميها العاريتين، ثوبها الأزرق بخطوطه الحمراء يكسو جسدها، تمسك بيدها منجلاً ذهبياً رمزاً لعمل الفلاحين، يطوق رأسها إكليل من سنابل القمح الصفراء الناضجة تحديق في البعيد، كأنها تأمل في شيء يهبها إياه المجهول"².

صورة المرأة الأم

تعد صورة المرأة الأم من الصور الرئيسية التي صورتها الرواية كنموذج من نماذج صور المرأة في المجتمع التي تناولتها الرواية نقداً وتحليلاً، وقد تباين الاهتمام بهذه الصورة في الروايات فمنها ما ركز عليها وأولاهها بالغ الاهتمام فهي الأم الخصب، النماء، مصدر الحياة، وهي الرمز لكل شيء مشرق تتلخص من خلال حروفها معاني الحياة، تمثل رمز الحنان والدفع إن للزوج وإن للأبناء فهي سراج البيت الذي إن انطفأ صار البيت إلى ظلمة أبداً، وقد كان لهذه الصورة من صور المرأة في الرواية حضورٌ بارزٌ خصوصاً في الرواية النسائية في حديث المرأة عن نفسها، إذ ترى أن هذا الجانب

¹ الشعلان، سناء: رواية السقوط في الشمس، ص57.

² المصدر السابق، ص70.

من جوانب شخصيتها المتميزة قد أنكره عليها الرجال والمجتمع الذكوري، فحاولت الكاتبة المرأة أن تبرز هذه السمة في شخصيتها وتتنظر لها لتفاضلها بها عن الرجل.

وقد بدت هذه الصورة لافتة في رواية السقوط في الشمس، فالبطلة تمثل صورة الأم التي تركت أطفالها وضحت بهم من أجل حبيبها إلا أنها كانت تفتقدهم وتفتقد أحلام ابنتها كثيراً "بحنو الأم التي تفتقد صغارها، كما أفتقد أحلام بالذات من دون إخوتها"¹ ومن استذكاراتها عندما كانت تتذكر أمها باستمرار وتحدث عن طيبة قلبها وحنانها "كيف لا تكون طيبة من تعشق الورود، وترزعها في حديقته وعلى منزلها؟"² فهي دائماً ما تتحدث عن رقة أمها وحنانها وطيبته وكم تعبت لتربيتهم وإنشاء أسرة سعيدة وتحدث عن علاقة أمها مع والدها والحب الذي يجمعهما، فأما ملأت بيتهم حباً وحناناً وطمأنينة، والبطلة تتذكر أمها كلما شربت عصير البرتقال، رائحة البرتقال تشبه رائحة جسد أمها "أما أنا فأغرق في رائحة البرتقال، كم أحب هذه الرائحة التي تذكرني برائحة جسد أمي، ما أجمل الأمومة تضمخها رائحة البرتقال، هكذا حفظت رائحتك يا أمي. الحنان ورائحة البرتقال ويداك الطاهرتان تمسحان دموعي"³ وفي أغلب المواضع التي تتذكر أمها لا بد أن يكون البرتقال يميز هذه الذكرى "اقتربت أمي مني، وضممتني نحو جسدها الغارق برائحة البرتقال، وقالت لي: يعني فتاة طيبة يا حبيبتي، قلبها يعرف معنى الحب ومعنى الحزن"⁴ وفي حزنها وفي مرضها لن تجد حضناً كحضن أمها، حتى عندما أنهت دراستها وعادت حزينة لفراق حبيبها تقول "حضن أمي أول ما يستقبلني، حضنها غارق برائحة البرتقال، أشمه، أقبلها، أتمنى أن تمتد يدها لتوقظني من نوم طويل"⁵، وعند حزنها وألمها لفقد حبيبها

¹ الشعلان، سناء: رواية السقوط في الشمس، ص10.

² المصدر السابق، ص19.

³ المصدر السابق، ص28.

⁴ المصدر السابق نفسه.

⁵ المصدر السابق، ص259.

تجد أمها ملازمة لها حزينة لا تدري ما بال ابنتها "تدعو لي أُمي بالشفاء، تقرأ لي بعض القرآن، أنام على كلماتها وتعاوِذها"¹.

فنجد في رواية السقوط بالشمس صورة الأم حاضرة بقوة لا تفارق خيال وواقع وذاكرة البطلة كما عشقها لحبيبها، لكن حب الأم وحنانها لا يؤلم، حب معطاء، تجسد هذه الرواية صورة الأم المثالية التي تقدم كل ما تستطيع لأبنائها، فأُمها كانت منذ طفولتها إلى أن شاخت وهي تمدّها بالحب والحنان والقوة "وشاخت أُمي وهي تلعن شجرة الياسمين"² فأُمها تكره كل ما يؤذي فكانت تلعن شجرة الياسمين ظناً منها أن سحراً دفن تحتها جعل ابنتها تذبل وتمرض، فالأم تحارب الدنيا من أجل أبنائها وتكره كل ما يؤذيهم، ففي الرواية لا نجد إلا صورة لأم حنون تسمو بمشاعرهما وبحبها فلا تجد مثلاً بين كل البشر.

صورة المرأة الزوجة

إن من الصور التي لا تكاد رواية تخلو منها هي صورة المرأة الزوجة إذ لا بد من الحديث عن المرأة الزوجة وعلاقتها بزوجها إن سلبية وإن إيجابية في أي رواية تجعل من مواضيع المرأة محوراً للكتابة فمن خلال الحديث عن ثنائية الرجل والمرأة تظهر صورة المرأة الزوجة جلية، وقد ظهرت بعض النماذج لصورة المرأة الزوجة في رواية السقوط في الشمس، وكان ذلك في بداية الرواية عندما تحدثت البطلة عن نفسها فهي هنا تصف الصورة السلبية للزوجة؛ فالبطلة لم تحب زوجها أبداً وقد جعلت حياته مملة غير مفعمة بالحب والأحلام، حتى أنها جعلت حياته كئيبة مجردة من الأحاسيس، فهي

¹ الشعلان، سناء: رواية السقوط في الشمس، ص 261.

² المصدر السابق، ص 262.

لم تكن مخلصه له؛ إذ بقيت تحدث حبيبها وترسل له أخبارها مع عائلتها حتى بعد زواجها، "لطالما سببت له الحزن، لقد أرادني حبيبة، فلم أعطه غير زوجة بليدة وحفنة من الأبناء"¹.

وقد برزت صورة إيجابية للزوجة في رواية السقوط في الشمس تمثل فيها صورة المرأة المخلصة التي تنتظر زوجها الغائب، ولا تستبدله بغيره وتصون نفسها حتى وهو بعيد عنها لا يراها "سكنت جسد امرأة أفنت العمر في انتظار الزوج الغائب"² فهذه الزوجة ضحت بشبابها وعمرها على أمل لقاء زوجها فهي محبة مخلصه متفانية في حفظ بيتها وزوجها، ومن صور الزوجة المخلصة والمضحية والمطبعة زوجة "سعادة" وهو رجل مقعد كان ضابطاً في الجيش وقد أصيب بالشلل عندما اجتاحت الصهاينة معظم الدول العربية فأصيب بالشلل بسبب حزنه "فتأكدتها زوجته بابتسامتها الراضية وهي تطل من المطبخ تحمل إبريق الشاي"³ وهناك صورة "أنس" التي تمثل الزوجة المطبعة، ف "أنس" التزمت بلبس الحجاب لأجل إرضاء زوجها.

صورة المرأة الفلسطينية

لقد كان للواقع المعيش وللبيئة الحياتية والظروف التي تعيشها المرأة بفعل العوامل السياسية والاقتصادية أثرٌ في تشكل ملامح صورة المرأة إن سلباً وإن إيجاباً فإن كان الفقر سبباً من أسباب وجود المرأة السيئة التي دفعها الفقر إلى الإتجار بشرفها من أجل المال فقد كان السبب نفسه من أسباب تشكل صورة مثالية للمرأة القوية المرأة التي تصبر على الجوع، المرأة التي تدافع عن عرضها وأرضها، المرأة التي تقوم على تربية أبنائها بعد رحيل زوجها الشهيد، تزرع الأرض بيد وتحمل بندقية

¹ الشعلان، سناء: رواية السقوط في الشمس، ص10.

² المصدر السابق، ص6.

³ المصدر السابق، ص69.

بأخرى، تدافع كما الرجال إن استوجب الأمر عليها، وقد تتعرض للموت والسجن والتتكيل في سبيل ذلك وشعارها في ذلك تموت الحرة ولا تأكل بثدييها، فكانت هذه الصورة حاضرة في قسّمات تجاعيد وجه عجوز فلسطينية عانت الكثير ولا زالت تعاني، لتضيف إلى صور المرأة في الرواية صورة جديدة متميزة دفعت بالمرأة إلى الأمام دفعة جعلت منها مساوية للرجل بل سبّاقة له في بعض الأحيان.

إنها صورة المرأة الفلسطينية المناضلة التي أصبحت رمزاً للمرأة الفدائية الصابرة في كل العالم، ولأن رواية السقوط في الشمس رواية نسوية حرصت على الإعلاء من صورة المرأة وتفوقها في جدليتها مع الرجل، كان لا بد لها من استحضار هذه الصورة وإظهارها بقوة لما تعنيه من رمزية في الشعور الجمعي العربي، فالمرأة الفلسطينية مثال المرأة الحسنة، ومن هذه الصور التي قدمتها السقوط في الشمس للمرأة الفلسطينية، فجسدت صورتها في التمثال الذي نحته عيسى الشاب الفلسطيني "امرأة فلسطينية بثوبها الداكن، ذي النقوش المهترئة، الثوب طويل، لكنه لا يخفي قدميها الحافيتين، التقرحات والجروح واضحة فيهما، بضعة حجار تدوسها بقدميها. إلى جانب قدمها حمامة مسجّاه وقد دق عنقها، التي تظهر ملوية نحو جسدها، والجناحان مكسوران. المرأة تتقلد سلاسل حديدية تحني ظهرها المتعب، آثار الغضب والنصب في وجه المرأة، ضفيريّتا شعرها تبرزان من تحت غطاء رأسها الطويل، تقبض في يدها اليمنى على حجر كبير، تقبض عليه بقوة تبرز عروق يدها الدامية التي تنزف بشدة، في كف يدها اليسرى تحتضن كف طفلها الصغير، تعبيرات وجهه غير ظاهرة، لأن رأسه مائل إلى أسفل وهو يلتقط حجراً من الأرض تماماً من جانب الحمامة المقتولة"¹.

فهذه الصورة للمرأة الفلسطينية ظهرت فيه صور عدة للمرأة الفلسطينية، فهناك المرأة الفلسطينية المناضلة التي تقاوم الصهاينة، والمرأة الأم التي تربي ابنها على حب وطنه وأرضه وتزفه شهيداً، ثم

¹ الشعلان، سناء: رواية السقوط في الشمس، ص 104.

المرأة المحافظة؛ فالتمثال جسّد لباس المرأة الفلسطينية المحافظة فهي تلبس ثوباً طويلاً وغطاءً للرأس، وهناك صورة أخرى بدت في هذا التمثال وهي صورة المرأة المضحية التي يظهر عليها ضنك الحياة وتعبها.

المرأة حسب التقسيم الجغرافي

لقد تجاوزت الصورة التي وقفت عليها الرواية حدود الصور المتعلقة بنفسية المرأة وطبيعتها، إلى مسبب آخر لا يقل أهمية وسهمة في رسم ملامح صورة المرأة وهو التقسيم الجغرافي؛ إذ للعامل الجغرافي أثر في تشكل معالم صورة المرأة وتحديد ملامحها، فنجد أن هناك فرقا واضحا بين طبيعة المرأة البدوية وخصائصها عن المرأة المتحضرة، مما يسهم ذلك في تغير طبيعة علاقتها مع الرجل وبالتالي تختلف سمات الجدلية بينهما، وقد كان لهذه الصور حضور في رواية السقوط في الشمس أجملها فيما يأتي:

المرأة الريفية

وهي المرأة التي تسكن في الريف تفلح الأرض ومن صفاتها أنها: بسيطة، مضحية، وزوجة مخلصنة متفانية بعملها في أرضها، تشارك زوجها تكاليف لحياة ومشقة العمل، مثلت صورة مشرقة من صور المرأة في الرواية، وهي المرأة الفلاحة "سكنت جسد فلاحة نذرت شبابها وقوداً في محرقة أعباء الحياة، تتقاسمها مع شريك عمرها ومليك قلبها"¹ تستحضر الكاتبة هذه الصورة لتصوير تمسك البطلة بحبها وإخلاصها لهذا الحب بالمرأة الفلاحة المخلصنة التي تكابد عناء الحياة مع شريك حياتها، تتحمل

¹ الشعلان، سناء: رواية السقوط في الشمس، ص6.

ضنك العيش وتكاليف الحياة في سبيل الحب، تماماً مثل هذه المرأة التي تعاني ما تعاني في سبيل بيتها وزوجها.

المرأة البدوية

هي المرأة التي تسكن الصحراء وحياتها قائمة على الترحال لا تقل حياتها ضنكا عن الفلاحة، فهي تشبهها تماماً في عملها وكدها، ترعى الغنم، تقدم كامل وقتها وطاقاتها في سبيل زوجها وبيتها حبا وطواعية، وقد استعانت الكاتبة بهذه الصورة في رواية السقوط في الشمس في حديث الكاتبة عن عشق البطلة الذي سكن جميع نساء الأرض "سكنت جسد بدوية تائهة عطشى، ترسم وجهك سراً في صحرائها"¹ فهي كالبدوية الجملة التي تصبر على الصحراء بكل ما تدرج تحت لفظتها من أحوال قاسية ومشاق.

المرأة الحضرية

وهي المرأة التي تسكن المدينة وتتميز بالتححرر، امرأة متعلمة، لا تعاني الذي تعانيه المرأة الفلاحة أو البدوية، امرأة تمردت على العادات والتقاليد وقد نجحت في ذلك إذ حصلت على حريتها المطلقة، وقد كان لهذه الصورة الحظ الأوفر من الرواية إذ نجد أن أغلب الشخصيات النسوية هن نساء متحضرات يتمتعن بالحرية الكاملة فشخصية البطلة المسيطرة في الرواية كذلك شخصية شرف ومروة وفضيلة و(نورما) كلها شخصيات لنساء متحركات تجاوزن العادات والتقاليد وسلطة الرجل، صورة لنساء دخلن جدلية عريضة مع الرجل وقد خرجن منها بنتائج كما تشتهين.

¹ الشعلان، سناء: رواية السقوط في الشمس، ص6.

الخلاصة

جاء هذا الفصل بعنوان صورة المرأة في رواية السقوط في الشمس للكاتبة سناء الشعلان وقد وقفت الباحثة في هذا الفصل على عرض صور المرأة في الرواية فالكاتبة سناء الشعلان في روايتها أظهرت صور إيجابية للمرأة وأخرى سلبية دون تحيز فهي تدعم المرأة وتدعوها إلى التحرر الذي يعني الوعي والثقافة والأخلاق.

الفصل الثاني

صورة الرجل في رواية السقوط في الشمس

مقدمة

تعددت صورة الرجل في روايات النساء وتنوعت بين سلبية وإيجابية، فالمرأة الكاتبة تسعى في كتابتها إلى إنهاء سطوة الرجل ووصايته¹، ولكن الصورة السائدة في الغالب كانت الصورة السلبية وهناك عوامل عدة كانت أساساً في تشكيل هذه الصورة، ويأتي في مقدمتها العامل الجنسي؛ إذ لا نجد كاتبة إلا تحدثت عن شخصية الرجل الشهواني وحول نظرة الرجل للمرأة على أنها وجدت للمتعة فقط، كما تحدثت الروائيات عن مشاكل الرجل الجنسية من شذوذ واغتصاب وتعدد العلاقات الجنسية، أما العامل الثاني الذي أسهم في إبراز صورة الرجل السلبية هو الظلم والقسوة التي يمارسها الرجل في المجتمعات العربية وفرض سيطرته الذكورية دون رادع؛ فله الحق في فعل ما يشاء وله الحق في التحكم بالمرأة وتقييدها، وإطلاق الأحكام عليها ومحاسبتها دون محاسبة نفسه على أخطائه التي شوهت الأسرة والمجتمع، أما العامل الثالث فهو الخداع وعدم الثقة؛ ففي الروايات النسائية برزت شخصية الرجل الكاذب؛ الرجل الذي تتصف كل علاقاته مع النساء بالكذب وانعدام الثقة؛ فهو يتنقل من امرأة إلى أخرى مستعينا بالكذب والخداع.

أما الصورة الإيجابية للرجل فهي صورة قائمة على الصفات الفطرية في الرجل من شجاعة وأخلاق وشجاعة وإنسانية قائمة على مناصرة المظلوم سواء أكان المظلوم امرأة أم رجل، كما أن هناك بعض الرجال الذين يقفون إلى جانب المرأة يشعرون بمعاناتها ويدعون إلى تحررها؛ لكنهم قلة في مجتمعاتنا

¹ ينظر: مناصرة، حسين: المرأة وعلاقتها بالآخر في الرواية العربية الفلسطينية، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 2002، ص49.

العربية، ونحن من خلال هذه العوامل نعرض أهم صور الرجل في الروايات النسائية، ثم نبحت فيها ونربطها مع صورة الرجل التي وردت في رواية (السقوط في الشمس) ونبحث إذا ما كانت تشابهت صورة الرجل في رواية (السقوط في الشمس) مع الروايات النسائية، وهل ركزت رواية (السقوط في الشمس) على الصورة السلبية للرجل أم الصورة الإيجابية وما هي الصور التي لم تذكرها الروائية لم تقف الرواية عليها.

صورة الرجل الأب

كان لا بد للروائيات من رسم صورة الرجل الأب في رواياتهن لتحقيق أهدافهن في التحرر، ففي روايات النساء تجد صورة سائدة للأب المسيطر الظالم لابنته وقد تمثلت السلطة الذكورية بداية في الأب والأخ وذلك قبل الزوج، فكان هدف المرأة التخلص من السلطة الأبوية التي تحيط المرأة بالقيود بداية من منعها من التعليم، وتقييد حركتها وحبسها في البيت، وعدم السماح لها بالخروج إلا بوجود مرافق لها، وكان الأب في المجتمعات العربية مبغضا للنبات يميز بين الذكر والأنثى؛ بل يمكن أن يصل به الأمر إلى تحريض ابنه على ظلم أخته والتحكم فيها، وهذه كانت صورة سلبية للأب في بعض الروايات.

لكن في المقابل من هذه الصور السلبية المشؤومة للرجل، نجد صورة أخرى إيجابية تمثل الحنان والعطف والسند في الحياة؛ ففي بعض الروايات كان الأب مصدر قوة للمرأة ومصدر قوة للأسرة وركيزة مهمة من ركائز المجتمع التي تسهم في بنائه وتقدمه، وفي رواية السقوط في الشمس تظهر صورة الأب الإيجابية، الأب الذي يعيل أبناءه ويتعب من أجلهم، وقد صورت الكاتبة حنان الأب الذي لا يقل عن حنان الأم، فحين كانت البطلة (هيلوس) مسافرة للدراسة كانت دائما ما تتذكر أباهما

طبيته وحنانه وتصور اشتياقها لدفع حضنه تقول: "كيف لا يكون طيباً من يحب الحيوانات ويربها"¹، فتصف طيبة والدها الكبيرة وسعة صدره الذي اتسع حتى للحيوانات، فلم يكن أبوها متسلطاً ظالماً مقيدا لحريتها، ولم ينظر إليها نظرة المرأة الضعيفة التي تجلب العار بل أعطاها حريتها وسمح لها بالسفر إلى الخارج للدراسة ففي هذه الصورة نلمح صورة الأب المتحرر من عادات المجتمع وتقاليده التي قيدت المرأة.

وقد ظهرت صورة الأب المهمم بأبنائه الذي يرى عائلته أهم ما يملك ويراهم المصدر الوحيد لسعادته وأحلامه وقد برزت تلك الصورة في شخصية (سعادة)، تقول البطلة تصف حال (سعادة) عندما يتحدث عن أبنائه: "لعل عائلته هي الحاضر السعيد والوحيد الذي يسكن حياته، ويسره الحديث عنه"² وقد تحدث سعادة عن نجاحات أبنائه مفتخراً بهم، وتحدث عن إخفاقات بعض أبنائه بقلب الأب المشفق الحنون على أبنائه "حدثني عن عائلته وأولاده الذين يفخر بنجاح بعضهم، ويشفق على إحباطات البعض الآخر"³، فكان سعادة مثال الأب الجيد الذي يراعى أبنائه ويحمل همومهم، فيفرح لفرحهم، ويحزن لحزنهم، بخلاف الآباء الذين لا يبالون بأبنائهم.

فرواية السقوط في الشمس صورت الأب بصورة إيجابية، جعلت منه سنداً قوياً لأبنائه وأسرته، فلم نلاحظ وجود الصورة السيئة للأب التي غالباً ما تصورها روايات النساء، فأغلب الروايات النسائية صورت الأب بالظالم المتسلط الذي لا يهتمه أبنائه، فصورت الأب الذي يلهث وراء إشباع رغباته، الأب الذي يظلم ابنته ويقلل من شأنها لأنها أنثى، لكن رواية (السقوط في الشمس) رسمت صورة جديدة للأب في الأدب النسوي صورة بعيدة عن الظلم والتسلط الأبوي، صورة متحررة بأفكارها، فالأب

¹ الشعلان، سناء: رواية السقوط في الشمس، ص 19.

² المصدر السابق، ص 66.

³ المصدر السابق نفسه.

في رواية (السقوط في الشمس) لم يقف في وجه أبنائه بل مهد لهم الطريق لينطلقوا ويحققوا أحلامهم، ويعيشوا حياتهم وفق قناعاتهم وزمنهم، لا وفق زمانه وقناعاته.

وقد تطرقت الكاتبة إلى سرد معاناة الشخصيات اليتيمة التي عاشت بلا أب وكيف أثر غياب الأب على حياتهم فنجد (شرف) و (هيلوس) قد تشاركوا في الحزن والهم نفسه، وعاشا الطفولة القاسية دون أب، فظل غياب الأب يشكل نقصاً في حياتهم ونفسياتهم وفي نظرتهم للحياة، (فهيلوس) يشرح معاناته لحبيبته (أرتميس) ويفسر لها التشابه بينه وبين (شرف) "لقد عشت حياتي يتيماً بلا أب يعطف علي، لطالما حلمت بأب انتظرته في كل ليلة، أنا أعرف معنى أب يهب الحب والحماية، هي يتيمة الأب مثلي تحتاج إلى عطف، أعطيتها كل العطف والحب والحماية بل والمال، كنت مستعداً إلى أن أراها طول عمري، كلما نظرت في عينيها رأيت طفولتي القاسية، كلما ساعدتها شعرت بأنني أساعد ذلك الطفل الحائر في عينيها، في طفولتي لم يرعاني أحد، لذا قررت أن أحميها من ذلك الضياع الذي تعيشه"¹.

ويكرر البطل دائماً الحديث عن والده، حتى عندما كبر كان يتمنى عودة أبيه ويتمنى حضن الأب الذي يشعره بالأمان، فكثيراً ما كانت تذكره شرف بالطفل اليتيم الذي بداخله "لا ولكنها تذكرني بطفل عاش يحلم بأب يأتي في ليلة العيد، يحمل الهدايا والألعاب والملابس الجديدة ويغمره وأخويه بالحب، طفل يتمنى أن يتوسد رأسه إلى صدر أبيه، وينام طويلاً، لأنه يشعر بالأمان"²، فصورة الأب في رواية السقوط في الشمس تمثل الحب والحنان والقوة، وتمثل فرحة الأطفال بالعيد والهدايا، تمثل الدفء والحنان، باختصار لقد أسقطت الروائية كل الصفات الإيجابية على صورة الأب في روايتها،

¹ الشعلان، سناء: رواية السقوط في الشمس، ص161.

² المصدر السابق، ص207.

وجعلت دوره لا يقل مكانة وقداسة عن دور الأم، وقرنت حبه بحب الأم العظيم، فالأب والأم يكملان بعضهما في وظيفتهم تجاه أبنائهم، فحنان الأم وحده لا يكفي، ويبقى الطفل دون أبيه مهزوزاً، ضعيفاً دون سند.

صورة الرجل الزوج

الزواج هو رباط مقدس يسمو على جميع العلاقات ويتميز بالطهر والعفة، وهو شراكة بين الرجل والمرأة، يتشاركان من خلال ميثاق الزواج للتغلب على مشاق الحياة وتجاوز مصاعبها، لكن في مجتمعاتنا نجد الزواج هو عهد جديد لاستبداد الرجل وتسلطه فبدلاً من أن يكون شراكة تقوم على المودة والعدل تصبح عهداً جديداً لظلم للمرأة، في المقابل على المرأة أن تتحمل ظلم زوجها وأن تخدمه، وإذا أخطأ فهي الملامة والمسبب لذلك الزلل، كما يجب عليها أن تتفانى في تضحياتها وصبرها على زوجها، فظهرت صورة الزوج الذي يتقن في سطوته وظلمه "من خلال لعب دور السيد الذي يخضع المرأة، يستعبد لها ويستغلها، ويحولها إلى أداة له، تخدمه، تتجلب له الذرية التي تعزز قوته الذكورية فتتحول إلى وعاء لمتعته بشكل أناني لا يراعي حاجاتها ورغباتها"¹ وفي المجتمع العربي لا يحاسب الرجل على خيانتته لزوجته بل يوجه اللوم للمرأة عند خيانة زوجها لها، أما إذا خانته المرأة فتجد المجتمع يحاسبها ويعطي زوجها الحق في تركها أو حتى قتلها.

أما الصورة الإيجابية للزوج فهي صورة الزوج المحب الذي يراعي زوجته وأبناءه، يكد ويجتهد في سبيل راحتهم، وهذه الصورة نادرة في الروايات النسائية.

¹ حجازي، مصطفى: التخلف الاجتماعي: مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور، المغرب: المركز الثقافي العربي، 2005م، ص204.

أما في رواية (السقوط في الشمس) فقد أبرزت الكاتبة الصورة الإيجابية للزوج، وزيادة على تلك الصورة الإيجابية للرجل، رسمت صورة الرجل المظلوم لا الظالم، فالبطلة عندما تزوجت شخصاً لا تحبه ظلمته، فقد عاش زوجها معها ثماني عشرة عاماً صابراً على عدم حبها له، متقبلاً الظلم من أجل أطفاله، ولم يكن يتمنى شيئاً سوى أن تحبه وتشعره بالحياة الأسرية التي يملؤها الحب والدفء، فهنا نجد صورة مغايرة للصورة العامة في الرواية النسوية؛ فالزوج هو من يصبر ويتحمل لأجل أطفاله وليس المرأة، فالصورة النمطية التي اعتدنا عليها في أن المرأة هي التي تصبر على زوجها الذي يحب امرأة غيرها؛ لكن الروائية حطمت تلك الصورة وجعلت الزوج يصبر ويتحمل حب زوجته لشخص آخر، وهنا تهدف الروائية إلى تغيير نظرة المجتمع التي تطلب من الزوجة تحمل أعباء الحياة وحدها وتحمل سطوة زوجها وخيانتته، فجعلت المرأة تلعب دور الرجل، والرجل يؤدي دور المرأة في التقاني والتضحية لأجل أطفاله وأسرته؛ لتخلص المرأة من قيود الزواج وسطوة الزوج؛ ففي الرواية تصف (أرتميس) حياتها مع زوجها قائلة: "لطالما سببت له الحزن، لقد أرادني حبيبة، فلم أعطه غير زوجة بليدة وحفنة من الأبناء، وحياة هادئة ورتيبة إلى درجة الغثيان"¹، فلم تكن تبالي بمشاعر زوجها، وظل قلبها ينبض بحب (هيلوس)، فزوج (أرتميس) يجسد صورة الزوج المطحون المظلوم، الذي يضحي من أجل أبنائه.

ونجد صورة أخرى للزوج في رواية (السقوط في الشمس) تجسدت في شخصية سعادة، الذي كان صورة الزوج المحب لزوجته الذي لا يستطيع الاستغناء عنها، فهو يقدر أهمية وجودها في حياته "أما زوجته فهي كنز في هذه الحياة"²، وعلى الرغم من حب سعادة لزوجته إلا أن شخصيته لا تخلو من

¹ الشعلان، سناء: رواية السقوط في الشمس، ص10.

² المصدر السابق، ص66.

صفات الزوج الذي يحب إثبات رجولته وإصدار الأوامر على زوجته عند طلب الأشياء فهو " يتعمد أن يلقي طلباته بنبرة أمرة ليثبت رجولته في ذاك البيت"¹، وعلى الرغم من ذلك يظل سعادة يمثل الزوج المحب الحنون الذي لا يهمل زوجته ولا يقلل من قدرها، ومن الصور السلبية للزوج صورة (هيلوس) الذي كان متزوجاً من امرأة إيطالية وقد طلقها؛ لأنها لم تحب قطته بل كرهها، ف (هيلوس) يريد أن يغضب زوجته على حب قطته بل ويعاقبها فيتركها لأجل قطّة، ف(هيلوس) يمثل الزوج الأناني الذي يحب نفسه وأشياءه ويريد أن يفرض على زوجته أن تحب ما يحب، فأرتيميس تسأل (هيلوس) هل كان يحب زوجته ولماذا طلقها " ألم تحبها؟!

أجبتني بنبرة بدت صادقة: أبداً..

- لماذا

قلت ببرود وابتسامة تحمل آلاف المعاني: لأنها لم تحب قطتي"².

ونجد صورة أخرى للزوج تمثلت في زوج أسرار الذي تزوجته شفقة عليه، فزوجها كان عاملاً عندها في مستنبتها وكان يحبها، وبسبب حبه لها سخر العمال منه وفي سبيل تخليصه من سخرية من هم حوله تزوجته وجعلته شريكاً لها بعد أن كان عاملاً يتقاضى أجراً قليلاً، وتصف (أرتيميس) زوج أسرار قائلة: " ذلك الزوج ذو الشخصية الضعيفة، أشفقت على ضعفه، رحمت فقره كعادتها، وعندما أصبح حبه الظاهر مصدراً لسخرية العاملين في مستنبتها الكبير، تزوجته، وأنقذته من ضعفه ومن سخرية من حوله"³؛ فزوج أسرار مثل صورة الزوج الفقير الذي تعيله زوجته وتتفق عليه، وهي من تتحكم به وتفرض سلطتها عليه، وبهذه الصورة قلبت الروائية الموازين مرة أخرى لتضع الزوجة في موضع

¹ الشعلان، سناء: رواية السقوط في الشمس، ص 69.

² المصدر السابق، ص 57.

³ المصدر السابق، ص 86.

القوة، وتضع الزوج في موضع الضعف، وتجعل المرأة هي التي تسير زوجها كيفما شاءت، وبذلك تضرب الروائية بالعادات والتقاليد عرض الحائط، وتخلق صورة جديدة للزوج الضعيف وتجعل المرأة منقذة له ومخلصة له من حياته البائسة، مخالفة بذلك الأعراف التي تجعل قرار الزواج بيد الزوج فأسرار هي من قررت وزوجها نفذ، ففي هذه الصورة نرى أسرار هي المنقذة والفارسة، فدائماً ما تهدف الروائية في رواية السقوط في الشمس إلى جعل المرأة في موضع قوة، والرجل في موضع ضعف، وكأن هذا ما تتمنى أن يصير إليه الحال الواقع، وتتمنى تحقيقه.

صورة الرجل الأخ

هذه الصورة لا تختلف كثيراً عن صورة الأب والزوج فهي تمثل القسوة والظلم نفسيهما وأحياناً نجد الأخ أكثر ظلماً وتسلطاً من الأب، فالأخ يحاسب أخته على كل صغيرة وكبيرة في حياتها لكنه يحق له ما لا يحق لغيره، فأخته تجلب العار، أما هو فمهما ارتكب من محرمات فإن ذلك لا يمس شرف العائلة فلن يعيب عليه أحد أفعاله وسيتزوج ممن يشاء لأنه ذكر ولا يعيبه شيء، ونادراً جداً ما نجد صورة للأخ المحب الحنون الذي لا يرى فرقاً بينه وبين أخته، نادراً ما نجد الأخ الذي يقف الى جانب أخته ويشعر بهمومها، وقد نجد تناقضات في صورة الأخ في الروايات في علاقته مع إخوته فهناك الأخ الطيب الحنون، وهناك الأخ الخبيث الذي لا يحب إلا نفسه، كما نجد صورة الأخ الصغير المدلل عند أخته.

في رواية السقوط في الشمس كان حضور صورة الأخ نادرة، وقد تمثلت هذه الصورة في عائد الذي يمثل صورة الأخ الطيب الذي يحب أخاه ويقف دائماً إلى جانبه؛ فعائد تربطه علاقة قوية مع أخيه (هيلوس)، فهي هي (أرتيميس) تصف قوة العلاقة والحب بين (هيلوس) وأخيه عائد قائلة: "اسميته

دائماً: الأخ الصديق والصديق الأخ، وكلما تحدثت عنه نعتته بصفة: العزيز الغالي، ولأنك تحبه فقد أحببته من كل قلبي، وقد كان أهلاً لهذا الحب"¹.

كما نجد صورة للأخ الصغير المدلل متمثلة في سالم أخو أسرار الذي تدللّه أخته وتحن عليه كأمه وكان يشبه أخته كثيراً في شكله، "عندما أزورها تبحث عيناى بفضول عن سالم ذلك الصبي العذب، يشبه أخته أسرار في بريق عينيه، أما بشرته الداكنة تعطيه ثقة خاصة"²؛ ففي رواية (السقوط في الشمس) لم نجد إلا صورة أخوية تكللها المحبة، تسمو عن أحقاد ونزوات البشر، وكأن الروائية أرادت أن ترسل رسالة عن قوة العلاقة التي تربط الأخوة، فلم تصور الخبث والغيرة بين الأخوة فالروائية سمت في روايتها عن المشاعر السيئة وركزت على المشاعر الإنسانية الجيدة في رسالة للمجتمع إلى ترك الأحقاد والضغائن وأن نسمو بحبنا إنسانيتنا.

صورة الرجل الخائن

هناك عدة أنواع للخيانة فهناك الرجل الذي يخون صديقه ويخذله وقت حاجته وضيقه، وهناك الرجل الذي يخون زوجته بإقامة علاقات مع النساء، والرجل الذي يخون حبيبته ويعدها بالزواج ولا يفي بوعد، وهناك الرجل الذي يخون وطنه ودينه ويبيع أرضه وهذه أشد أنواع الخيانة، فالخيانة من أسوأ الأفعال وأقبحها التي يحملها الرجل، فهي تترك بصماتها في زوايا المجتمع كافة؛ فإن خان زوجته دمر ركيزة مهمة من ركائز المجتمع وهي الأسرة، وبذلك ينشأ أطفالٌ وجيلٌ تملؤهم المشاكل النفسية التي بدورها تسهم في تأخر المجتمع، وإذا خان الرجل صديقه انعدمت الثقة بين الناس وقلت الأخلاق

¹ الشعلان، سناء: رواية السقوط في الشمس، ص232.

² المصدر السابق، ص84.

وقلت الإنسانية والشعور بالغير وكل هذه تُنشئُ أشخاصاً مهزوزين معدومي الأخلاق وبالتالي تخلق رجلاً خائناً لوطنه.

ففي رواية السقوط في الشمس نجد صورة الرجل الذي يخون حبيبته ويعدها بالزواج وقد تجسدت في شخصية حبيب أنس الذي استدان منها مبلغاً من المال للسفر وإكمال دراسته ليعود ويخطبها من أهلها، وأنس لم تترك عرافاً أو دجالاً ولا قارئاً للفنجان إلا سألته عن حبيبها الغائب "ومنذ ذلك الوقت لم تتفك تطارده في عيون السحرة والمشعوذين، وتبحث عنه في متاهات فناجين القهوة وتتساءل: أما زال يحبني؟ هل سيعود؟ والمشعوذون أبداً يخدرون أحزانها بوعودهم وتوقعاتهم المزعومة"¹؛ لكن حبيبها يخون وعده لها بالعودة وخطبتها، وينكث عهده ولا يرجع ما استدان من نقود منها وتصاب أنس بحالة نفسية سيئة، بل أنه يتزوج بأخرى فتكتشف أنه لم يحبها يوماً فقط كان يتلاعب بمشاعرها "تحدثنا طويلاً عن أنس التي باتت سلوكياتها غريبة منذ أن تأكدت من خديعتها، ومن زواج حبيبها المزعوم، مسكينة هي المرأة المطعونة في حبها"².

ومن صور الخيانة أيضاً خيانة (هيلوس) لحبيبته (أرتيميس) مع شرف التي لا تتفك تلاحقه وتذهب إلى بيته ومرسمه، "ما هذه الورود التي تسكن إلى جانب ياسميني في ذات المزهريّة؟! قرنفل برتقالي أطرافه حمراء اللون، أراهن على أنها من تلك التي باتت لا تغادرك إلا قليلاً"³، ف (هيلوس) برغم حبه ل (أرتيميس) إلا أنه خانها مع شرف ودفع ثمن خيانتته بأن فارق أرتيميس طول حياته، فقد أجبر

¹ الشعلان، سناء: رواية السقوط في الشمس، ص26.

² المصدر السابق، ص61-62.

³ المصدر السابق، ص88.

على الزواج من شرف لأنها كانت حاملاً منه، واضطر لتترك حبيبته التي أحب أكثر من نفسه، لقد اقتصرت صورة الرجل الخائن على هذه الصورة، ولم نجد صورة للرجل الذي يخون وطنه أو صديقه.

صورة الرجل المناضل

وفي رواية (السقوط في الشمس) نجد حضوراً لشخصية الرجل المناضل في أكثر من موضع فالروائيون استخدموا الأدب للكشف عن الواقع¹ بداية ب(سعادة) الذي عمل في الجيش العربي مدافعاً عن وطنه، فحارب في أرض المعركة وجرب الاعتقال وكل ذلك لم يضعفه، لكن الذي أضعفه وشل حركته وجعله عاجزاً هو اجتياح العدو للأراضي العربية فلم يحتمل قلبه هذا الخبر فأصيب بالشلل، إلا أنه كان صابراً لا يحمل همّاً سوى هم الأمة تقول: "أبداً لم أسمع سعادة يشكو من عجزه، ولكنه دائماً كان يشكو ممن يشلون إرادة الشعب، ويلجمون غضبه، ويضربونه بسياط من نار، هو لا يكره كرسيه المتحرك، فهو دائماً يذكره بغضبه ورفضه، ويصور له العدو يقترب والأمة مشلولة والظلام حالكاً، لكنه يبشر بانبلاج الفجر"² فهذه صفات الرجل المناضل الذي يحمل هم وطنه طول حياته في قوته وفي عجزه، ودائماً ينتظر بزوغ فجر الحرية، حتى لو ابتعد عن ساحة المعركة يبقى قلبه معلقاً بالوطن حاملاً همه على كتفه؛ ف (سعادة) من حجم ذلك الحب كان يملأ بيته بصور المناضلين رفاق المعركة والبندقية فهذه الذكريات لا تمحى من حياته أبداً، "بعض الصور أجهل أصحابها، أقدر أنهم ثوار وقادة وطنيون، ليس لأن صورهم تصطف بوقار إلى جانب مجموعة كبيرة من صور أبطال الضابط سعادة، ولكن بسبب تلك النظرة الحادة المرتسمة بقوة في عيونهم، بقوة تتحدى البطش والظلم

¹ ينظر: ماجدولين، السويطي: صورة الرجل في الرواية النسوية الفلسطينية "سحر خليفة أنموذجاً"، رسالة ماجستير، جامعة الخليل، 2012، ص2.

² الشعلان، سناء: رواية السقوط في الشمس، ص27.

وتقرمه، وتسخر من ضعفه"¹؛ فالرجل المناضل حتى في الصورة تتميز حدة ملامحه وقوته، ومن ضمن الصور في بيت سعادة كانت صورة (جيفارا) الذي كان رمزاً للثورة، وقدوة يحتذي بها الثوار، ف (سعادة) لم ينسه عجزه أيام نضاله ضد العدو وهذه الصور في بيته تشهد على حب سعادة لوطنه وتوقه للدفاع عنه ليظل قلبه معلقاً بالثوار والثائرين.

ومن الصور المهمة التي ذكرتها الكاتبة للرجل المناضل صورة الشاب الفلسطيني عيسى الثائر الذي لا يهزمه القيد ولا ينثيه عن هدفه، "حدثت السنديان عن عيسى فأجابتي: إنها تعرفه، وتعرف كم يحب وطنه، هي كذلك تحب الوطن، لكنها لا تحدث الريح في ذلك؛ لأنها تخشى السوط، الكل يخشى السوط، إلا عيسى لا يمكن أن يخشى السوط، لأنه خلق لكي يخشى، هكذا هم أصحاب الحق دائماً يخشون ولا يخشون، أتذكر الآن نظرة عينيه، أراها تسخر من العدو، وتبزق في وجهه المشوه بقرف، أخيل كوفيته الفلسطينية تتمزق تحت ضربات السوط، أما كبرياء عيسى وإصراره فلا يتمزقان أبداً"²؛ فالعدو يخشى عيسى والسجان يخشى عيسى، وعيسى لا يخاف أحداً، يؤمن بعدالة قضيته، ويؤمن بأنه صاحب حق، وقد كان عيسى يحلم بأن يتزوج من (أرتميس) التي أحبها بصدق وكان يتمنى أن ينجب منها عشرة أبناء يربيههم على حب الوطن، فعيسى حتى في عشقه يفكر في وطنه، يضحي عيسى بكل شيء من أجل وطنه، بحبه بفنه وعلمه، ففي الجامعة تم اعتقال عيسى لأنه كتب عن وطنه وعبر عن رأيه، وقد سجن عيسى أيضاً في معتقلات العدو في صباه.

ومن الصور التي تجسد شجاعة الرجل ووقوفه مع الحق صورة الأستاذ مشعل الخضراء، الذي كان يتكفل الطلاب السجناء ولا يخشى على وظيفته في الجامعة فكان دائماً يدعم أولئك الشباب ويقف

¹ الشعلان، سناء: رواية السقوط في الشمس، ص67.

² المصدر السابق، ص108.

إلى جانبهم، ويشارك في الاعتصامات التي تناصر المظلوم، " أما الآن وبعد أن كان أول المعتصمين، وبعد أن أقدم بنفسه على تكفل كثير من الطلبة وعلى رأسهم عيسى بضممان عمله، بتنا جميعاً نعلم أنه من النوع الذي لا يجيد الجعجة والشعارات، ولكنه من النوع الذي إن قال فعل، وإن صمت تدبر¹ فمشعل الخضرا ناضل عن طريق وقوفه مع المظلومين ودعمهم بماله دون الخوف على منصبه في الجامعة.

صورة الرجل المحب العاشق

في رواية (السقوط في الشمس) نجد صورة الرجل المحب العاشق ولكن يكون حضوره أقل من المرأة العاشقة وتعبيره في الرواية أقل من المرأة، وتتجسد صورة الرجل المحب في (هيلوس) الذي أحب (أرتيمس) وسحر بجمالها، وكان دائماً يتغزل بها ويغني لها ويقضي معظم وقته معها وكان يحب كل شيء في أرتيمس حتى تلك الندبة التي كانت تخفيها بشعرها "قلت لك: هي من سقطة قديمة. قاطعتني قائلاً: تعجبني، لا تخفيها. واقتربت مني وطبعت على ندبتي قبلتك الأول"²؛ فالرجل العاشق يحب حبيبته كما هي بعيوبها وحسناتها ولا يريد أن يتغير فيها شيء، وكان دائماً يرسل الورود لحبيبته ويكتب لها قائلاً: "إلى آلهتي الساحرة (أرتيمس) حتى ألقاك..³"، فقد شبه حبيبته بالآلهة في جمالها وسحر عينيها، وكان (هيلوس) يغار كثيراً على حبيبته (أرتيمس) "أنت غيور، غيور بطريقة غريبة، تغار من مجرد أن يحلم من أمامك بلمس ما تملك، تغار علي ليس مثل غيرة المحب الضعيف، بل مثل غيرة السيد الذي يملك قلباً بشكل كامل، ولا يقبل أن يناقش فكرة حصول أي مخلوق على جزء

¹ الشعلان، سناء: رواية السقوط في الشمس، ص117.

² المصدر السابق، ص56.

³ المصدر السابق، ص58.

من هذا القلب، ولو على شيء من فتات عطفه¹، فالرجل العاشق يريد أن يملك حبيبته وقلبها ولا يحتمل أن يعطف قلب حبيبته على أحد غيره.

كما كان دائماً يرى حبيبته مختلفة عن كل النساء "لا تغاري يا حبيبتي من النساء، أنت لست كأني أحد منهن، أنت صنف آخر، مزيج عجيب من الحب والأسطورة والقدر، أنت وجه لا ينسى، ملامحه لا تتكرر، أما غيره من الوجوه فقدرها النسيان؛ لأن ملامحها لا تملك مثل بريق عينيك العاشقتين"²، وكان (هيلوس) يحب ورد الياسمين؛ لأن حبيبته تحبها وكانت رائحة الياسمين تذكره برائحة حبيبته (أرتيميس).

ومن صور الرجل العاشق كاظم حبيب فضيلة الذي وقف فقره في وجه حبه وسافر إلى بلده البصرة ليعمل ويعود ليتزوج من فضيلة، ولكنه يذهب إلى الجيش ويستشهد فيفارق الموت بينه وبين فضيلة التي كانت كل شيء جميل في حياته، كان دائماً يقول: إن فضيلة هي السعادة الوحيدة في حياته، عشقها حد الموت، فكاظم كان حبيباً مخلصاً مضحياً في سبيل حبه وفي سبيل سعادة فضيلة.

وتظهر صورة أخرى للرجل العاشق صورة عيسى الذي أحب (أرتيميس) التي لم تحبه، فكان حبه من طرف واحد يراقبها يراها يكلمها دون أن يبوح بحبه وإعجابه، وحين اعترف لها بحبه وعرض عليها الزواج والذهاب معه لفلسطين رفضت لأنها تحب (هيلوس)، حلم عيسى بالزواج منها وإنجاب عشرة أطفال منها يقدمهم للوطن، كان حبه لأرتيميس كحبه للوطن، حب حزين يشعره بالألم.

¹ الشعلان، سناء: رواية السقوط في الشمس، ص75.

² المصدر السابق، ص76.

صورة الرجل الشهواني

نجد هذه الصورة حاضرة بقوة في روايات النساء فقد كتبت الروائيات عن الرجل والجنس في رواياتهن وبالغن في الحديث عن هذه الصورة للرجل، ففي روايات النساء نرى صورة الرجل الذي يقيم علاقات متعددة ويستغل عاطفة المرأة وجسدها ليشبع غرائزه، وَيَعُدُّ المرأة جسداً يتمتع به، وكذلك الرجل الذي يقيم علاقات مع فتيات صغيرات أو الرجل الذي يخون زوجته مع الخادمة أو السكرتيرة.

في رواية (السقوط في الشمس) لم تفصل الروائية العلاقات الجنسية كما في روايات النساء الأخرى بل لمحت تلميحاً، ولم تركز على صورة الرجل الشهواني فقد كللت روايتها بالحب الطاهر العفيف، وقد كانت تذكر في بعض المواقف نظرات الرجال الشهوانية للنساء في القطار أو في الجامعة، لكنها لم تقف على تفاصيل العلاقات الجنسية، فقط نجد صورة واحدة سيئة هي صورة تجسدت في نمر نصار الذي يستخدم ماله ونقوده لإقامة علاقات مع النساء، وقد كان نمر نصار دائماً يسأل عن شرف "يسألني عن شرف، أجيبه عنها باقتضاب، أتخيل كم هو مناسب لها، ستعشق نقوده بشك كبير، وستقدم جسده رخيصةً مقابل أمواله، وهو مستعد دائماً للدفع وبكل سخاء"¹؛ فنمر نصار رجل شهواني لا يهتمه الأخلاق والمبادئ وهو صورة مغايرة للمناضل الذي لا تهمه شهواته المناضل الذي لا يفكر إلا في وطنه، أما الشهواني فلا يفكر إلا في إشباع غرائزه ولا يهتمه إلا النساء.

¹ الشعلان، سناء: رواية السقوط في الشمس، ص 96.

صورة الرجل الأسطورة

وفي العصور القديمة قدس العرب المرأة¹، وربطوا خصب المكان بها، إلا أن هذه المكانة بدأت بالأفول عندما تنامي دور الرجل ليحل محلها².

في المجتمع والأدب تنحاز الأساطير للرجل وتقده وترفع من شأنه، ومن أهم الأساطير التي انحازت للرجل هي أسطورة آدم وحواء وتحميل وزر وإثم الخطيئة لحواء؛ فهي السبب في خروج آدم من الجنة، فنجد الأساطير تحاسب المرأة وتقديس الرجل برغم ارتكابه للمعاصي ومن الأساطير التي وقفت إلى جانب الرجل أسطورة (ميدوزا) "ميدوزا ربة الحكمة والشعابين الأمازيغية، الجميلة التي ارتكبت الفاحشة مع بوصيدون في معبد أثينا، حيث نراها تتحمل وحدها غضب أثينا فتسلبها جمالها وتحول شعرها إلى شعابين، وليس هذا فحسب بل تفرض عليها العزلة، حيث تطل اللعنة كل من ينظر إليها ليتحول حجراً.. وكانت نهايتها على يد برسيوس الذي قطع رأسها وأهداه إلى أثينا أثناء عودته من حرب طروادة، فنال الخلود تكريماً له"³؛ فالأساطير تنحاز للرجل ولا تحاسبه على أخطائه بل تخلده وترفع من شأنه، والأساطير ما هي إلا تعبير عن فكر المجتمعات التي نشأت فيها هذه الأساطير، وهي دليل على تقديس هذه المجتمعات للذكورة، والمبالغة في حساب المرأة؛ لذلك نجد أن الأساطير هي أفكار ومعتقدات الناس والدين وليست مجرد خيال، فكانوا يعتقدون قديماً أن الله قدس الرجل عندما خلقه وخلق حواء لتؤنسه وتنسيه همومه وجعلها مُسَخَّرَةً لخدمته، وأعطى حق السيادة والتحكم للرجل، والأساطير دائماً ما كانت تلعن المرأة وتصورها بالشيطان، وتحملها سبب الهموم والشقاء، ولم نجد

¹ ينظر: الديك، إحسان: الأسطورة في الفكر الجاهلي وأدبه، باقة الغربية، مجمع القاسمي للغة العربية أكاديمية القاسمي، ط1، 2016م، ص8.

² ينظر: الديك، إحسان: صدى الأسطورة والآخر في الشعر الجاهلي، باقة الغربية، مجمع القاسمي للغة العربية، ط1، 2013م، ص51.

³ Swnsyria.org/?p=3253

أسطورة تلعن الرجل وتشبهه بالشيطان، وقد استخدم الأدباء في كتاباتهم الأساطير لتعبر عن رمزيات اجتماعية وسياسية ونفسية، أما الكتابات النسائية فقد استخدمت الأسطورة لتبين معاناة المرأة والفروق والإجحاف بحقها على مدار التاريخ، ولتصنع ملحمة وأسطورة المرأة المتحررة، وتطيح بعرش الذكورة وتحطم تمثال وأسطورة القداسة الذكورية.

وفي رواية (السقوط في الشمس) استخدمت الكاتبة الأساطير بكثرة، فقد استخدمت الأساطير رمزاً للرجل العاشق، واستخدمتها لتصف جمال الرجل تتغزل به، وقد استخدمتها في وصف إخلاص الزوج وحبه لزوجته، كما استخدمتها في وصف الرجل المقاوم الثائر، بداية بالأساطير التي صورت جمال الرجل وطلته ففي هذه الأساطير رسمت صورة الرجل الحبيب الذي عشقته وأعجبت بجماله ورجولته "فتجديك ممطياً عربتك الذهبية تحمل الشمس، وتهدي النور للبشر، وتنديهم من ينبوع رجولتك وبهاء طلتك، فتقبلك، تهديك دفلى مشاعرها"¹، فهنا شبهت الرجل الحبيب بالشمس التي تنشر أشعتها على الدنيا، تتغزل بطلته وجماله، وتجعله مصدراً للنور في حياتها.

كما استعانت بالأساطير في رسم صورة الرجل العاشق التي تمثلت في أسطورة (زيوس) كبير آلهة اليونان الذي أحب امرأة آدمية فانية "لقد كان قوياً جباراً، ولكنه ركع أمام الحب، وهجر حب السماء ليعشق آدمية فانية تسمى (لاتونا)، وتزوجها فوهبته أجمل توأمين: إله الشمس والرجولة والأدب و (أرتميس) آلهة القمر والصيد"² ففي هذه الأسطورة تظهر لنا قوة الحب وسطوته التي تجعل أقوى الأقوياء يركع لحيبه ويسلم أمره لحبيبه.

¹ الشعلان، سناء: رواية السقوط في الشمس، ص 6-7.

² المصدر السابق، ص 14.

من ثم نجد (أرتميس) تتغزل بحبيبها وتسميه (هيلوس) لشدة جماله ورجولته " (هيلوس) ذلك الإله الشاب الجميل ذو العيون الزرقاء، والشعر الأشقر المجعد، والجسد الرجولي الرائع الذي يمثل نهراً خالداً للرجولة، يركب عربته الشمسية، ويندي العالم بنوره الخالد¹، فمن شدة عشقها له تسمو به لتشبهه بالآلهة، ولا ترى شبيهاً له بين البشر فعينيه حكاية، وشعره خصلات ذهبية لامعة، وجسده يفيض رجولة ووسامة، فهو يشبه (هيلوس) في شكله، ويشبه (زيوس) في قوته وفي ثقته التي تطغى على كل من حوله، فدائماً ما تصفه بأنه قدرها الذي لا تستطيع الفرار منه، وأن أشعته الذهبية وشمسها تغمرها وتغمر كل النساء، ودائماً تسأل نفسها كم من النساء تمتعن بدفء شمسك، وأحياناً تصفه باللعة التي حلت على قلبها، وأدمته إلى الأبد، وتشبهه بتماثيل الإغريق، ودائماً ما تتخيل أنه هرب من أحد الأساطير لأنه لا شبيه له بين البشر، "أصم على أنك تسكن السماء وترافق الشمس، أما الأرض فعجيب أن تتخذ فيها مسكناً كسائر البشر"².

كما جسدت الكاتبة صورة للرجل المحب الحزين الذي يفقد حبيبته ويبكيها وقد تجسدت هذه الصورة في أسطورة (كالاجولا) التي تتحدث فيها عن ملك ماتت حبيبته، وقد آلمه موتها وتعذب كثيراً على فراقها، وقد رأى بأن القمر يشبه حبيبته، فيطلب ممن حوله بأن يحضروا له القمر الذي سيخفف عنه ألمه لفقد حبيبته، ومن يعجز عن ذلك يقوم بقتله، فيتأمر رجال دولته للتخلص منه، والأسطورة تمثل شدة الألم الذي تعرض له عند موت حبيبته "يضمها (كالاجولا) بحب مفجوع، يقفل دونهما أبواب مقصورته، تخفت الأضواء والموسيقى، جسده المفجوع وهو يضم الحبيبة يرسم بؤساً حقيقياً، يبكيها

¹ الشعلان، سناء: رواية السقوط في الشمس، ص14.

² المصدر السابق، ص94.

بحرقه، يرثيها بشعر جميل، يطالبها باسم الحب بأن تهجر الموت، ولكنها لا تستجيب"¹؛ فهذه الصورة تمثل أثر الفراق على الرجل العاشق.

وتظهر لنا صورة أخرى للرجل العاشق الذي تخونه حبيبته تجسدت في أسطورة البلبل الذي أحب مالكة فضحى بنفسه من أجل أن يهب صاحبه وردة حمراء خضبها بدمه ليهديها لحبيبته التي رمت هذه الوردة وذهبت مع رجل غني ولم تبالي بوردة حبيبها ولا حبه لها، فهذه الصورة تمثل وجع الخيانة ووجع التضحية التي تذهب لأشخاص لا يستحقون ولا يقدرّون المشاعر.

ورسمت الكاتبة صورة جديدة عن طريق استخدام الأساطير صورة الزوج المحب المخلص لزوجته، الذي لا يقدر على فراقها وقد عبرت عن هذه الصورة من خلال أسطورة (أورفيوس) "ذلك الموسيقي الذي عشق موسيقاه بقدر عشقه لزوجته (يوريديس)، وعندما سرقها الموت، لم ييأس، بل لحق بها إلى مملكة الموت، واستطاع بموسيقاه الحزينة أن يقنع (هاديس) إله الموت والحياة السفلى أن يعيدها إليه، لكن إله الموت اشترط عليه أن يسير أمامها، وأن لا ينظر إليها أبداً، لم يستطع (أورفيوس) أن يكبح فضوله، فنظر إليها، فاخنت إلى الأبد، وكتب عليه أن يبكيها إلى الأبد حتى الموت"² فهذه الأسطورة تبين مدى الحب الذي يربط الزوج بزوجته، فهي نصفه الثاني الذي لا يستطيع العيش من دونه.

وتصور الكاتبة شدة حزن الرجل على زوجته بأسطورة (الورك) الذي حزن بشدة على موت زوجته، ومن شدة حزنه عليها لم يستطع البكاء بل ظل يرقص طول الليل حتى أنهكه التعب كما استخدمت الكاتبة الأساطير لترمز للرجل الفلسطيني المقاوم الثائر، الذي لا ييأس ولا يخاف العدو، وينتفض

¹ الشعلان، سناء: رواية السقوط في الشمس، ص133.

² المصدر السابق، ص131.

من بين الدمار والحطام، ليفجر غضبه في وجه العدو فشبهته بطائر الفنيق "أتعرف يا حبيبي ما هو طائر الفنيق؟ هو طائر مقدس عبده الفنيقيون، عبده لأنه رمز للحياة والتجدد، كلما قهره الزمان أحرق نفسه، فجدد بذلك حياته وعاد إلى قوته وشبابه"¹ وهذا هو حال الرجل الفلسطيني الذي يصنع من يؤسه ودمه حياة جديدة.

في النهاية يمكن أن نستنتج من كل هذه الصور الأسطورية أن الكاتبة استخدمت الأساطير بكثرة في روايتها، لتجعل هذه الصور درامية خيالية تحلق بالمشاعر وتسمو بالحب، وكأنها تدعو المجتمع إلى الاقتداء بهذه الصور الجيدة التي تمثل قمة الحب والإخلاص والتفاني، وكأن الكاتبة تتمنى وجود رجال مثل الذين كتبت عنهم وصورتهم، فالكاتبة ناقضت الواقع بهذه الصور، فالغالب في واقعنا المادة لا الحب، ونادراً ما نجد الإخلاص والحب من قبل الزوج، فالكاتبة أتبع أسلوباً مناقضاً للروايات في كتابتها فجعلت روايتها تزخر بالإيجابية بدلاً من تلك الصور السيئة التي وجدت بكثرة في روايات النساء.

لم تذكر سناء الشعلان الأساطير السيئة التي تظهر الرجل بصورة سيئة تظهره شهوانياً ظالماً للمرأة، مع أن الأساطير التي تقدس ذكورة الرجل وتجعله ظالماً للمرأة كانت كثيرة في الأدب، طغت على كل الأساطير الجيدة لكن الكاتبة تتمتع بروح إيجابية روح عاشقة لا تهاجم الرجل ولا تهاجم المرأة وتقر بمميزات كليهما، ولا ترفع من مكانة أحدهما على الآخر.

¹ الشعلان، سناء: رواية السقوط في الشمس، ص 109.

صورة الرجل الجبان

من الصور السلبية التي صورتها الرواية للرجل صورة الرجل الجبان، وهو ذلك الرجل الذي يجبن أمام مصاعب الحياة ودائما ما يحاول الهروب إذا ما وقع في معضلة من معضلاتها، فلا نراه يواجه المشكلات أو يبحث عن حلول لها فالحل الوحيد عنده دائما هو الهرب، فهو جبان في الحب لا يستطيع أن يعبر عن حبه لمحبيبته بأدنى كلمة إنما يكتفي بالصمت ويترك للحب أن يعيث بقلبه وروحه دون أن يستخدم حتى لسانه للتعبير عن ذلك الحب حتى بكلمة أحبك فهو جبان في الحضور وفي الغياب فربما يمتلك في قلبه أعظم حب فاق حب الرجل الشجاع وبسبب ذلك الجبن بدا أمام من يحب كالجماد، على الرغم من أنه لا يخون في الحب أبدا وكذلك الأمر في محبته لوطنه رغم عجزه عن تقديم أي موقف حتى ولو كان بكلمة يقولها من أجل وطنه فهو عاجز عن التضحية بأي شيء في سبيل من يحب، وذلك بسبب الجبن الذي يملكه؛ فدائما ما يكتفي بالصمت أو يختصر ذلك كله بالهرب فصفة الجبن في ذلك الرجل كما صورتها الرواية لم تكن صفة وراثية ولدت معه، بل على العكس من ذلك هو عاشق جريء ومناضل شجاع، بيد أن التجارب القاسية كلفته غالبا حين دفعته إلى المضي في طريق الجبناء فهي أسلم الطرق وآمنها لديه، فصفة الوفاء فيه وحبه المتناهي للغير جعلته يدفع ثمن ذلك الوفاء بأن يصبح جباناً، فهو في كثير من الأحيان ضحية لخيانة الغير.

وقد برزت هذه الصورة واضحة في رواية (السقوط في الشمس) فكانت شخصية (هيليوس) الذي جرب السجن والنضال عندما كان في الجامعة فأثر هذا النضال كثيراً في مستقبله، وقد استنتج من سجنه أنه لا جدوى من حماسه ووقوفه في وجه الظلم، فاختار مستقبله على التضحية من أجل الحرية، فعندما سجن لم يقف أحد إلى جانبه، فاختار أن يكون محايداً لا علاقة له بالسياسة والثورة، وقد برر جبنه لحبيبه بطبيعة الحياة الصعبة التي لا تعطي الفرص لأحد أكثر من مرة فيقول لها: "أنت لم

تخبري الحياة، كما خبرتها، الحياة لئيمة وقاسية تعطي القليل، لذلك يجب أن يتمسك الإنسان بهذا القليل"¹ وعندما أصبح أستاذاً جامعياً ذهبت إليه حبيبته (أرتميس) ليكفل عيسى الشاب الفلسطيني المناضل وذلك حتى يخرج من السجن، إلا أنه رفض وتخاذل خوفاً على مستقبله وحياته فكان بذلك صورة للرجل الجبان الذي لا يناصر المظلومين على الرغم من قدرته على ذلك، ومن كثرة خوفه على نفسه طلب (هيلوس) من حبيبته (أرتميس) أن لا تأتي لزيارته لكي لا تسبب له الشبهات "أنت وشأنك، ولكن لا تورطيني معك، اجعليني بعيداً عن المشاكل، أفضل أن تفكري بهدوء، وحتى ذلك الوقت أرجو أن نقلل من لقاءاتنا على الأقل هنا في المتحف"² حتى أن (هيلوس) مستعد للتضحية بحبه من أجل ألا يتضرر بسبب وقوفه مع عيسى، فكانت صفة الجبن في (هيلوس) أكثر أثراً على (أرتميس) من صفة الخيانة فقد تحملت (أرتميس) خيانتها لها مع شرف لكنها صدمت بجبنه.

صورت سناء الشعلان الرجل الجبان بأنه أسوأ من الرجل الذي يخون حبيبته، ففي حديثها عن الخيانة وضعت الكثير من المبررات لخيانة (هيلوس) لأرتميس، ولكن عندما صورته جباناً نجد أنها قد بالغت في جعل صورته قبيحة حتى أن (أرتميس) لم تعد تراه بنفس جماله وبدأت تراه قبيحاً، "أحرق طويلاً في قسماتك، متى أصبح فمك متسعاً إلى هذا الحد، شعرك لا يتماوج كشعر (هيلوس) بل كشعر يتهياً لبروز قرون شيطان من تحته، أنا أخشاك، أرمقك بغضب يساوي حبك لي: أعرف أنك جبان..³".

وعندما رأت مشعل الخضرا الرجل القبيح وكانوا يسمونه الرجل الدودة عندما رآته يناصر عيسى ويتكفله بدت ترى ملامحه جميلة ووجهه منيراً بعكس حبيبها الذي تغيرت ملامحه إلى القبح، فسناء

¹ الشعلان، سناء: رواية السقوط في الشمس، ص113.

² المصدر السابق نفسه.

³ المصدر السابق، ص114.

الشعلان أرادت إيصال فكرة أن الجمال جمال الروح وأن الرجل يكون جميلاً بشجاعته ونصرته للمظلوم لا بشكله، ولتبين سوء الجبن وأثره الذي لا يقل خسةً عن خيانة الوطن ولأن الساكت عن الحق شيطان أخرس جعلت صفة الجبن في شخصية البطل الشخصية الأساسية في الرواية ولم تضعها في الشخصيات الثانوية، لتشد انتباه القارئ وتصدمه وتجعله يتأمل هذا الفعل والتصرف، كما تترك أثراً في نفس القارئ الرجل للابتعاد عن مثل هذه الصفة، فسناء الشعلان تريد إيصال فكرة للرجال مفادها، إذا أردتم الوصول إلى قلوب من تحبون من النساء كونوا شجعاناً وانصروا المظلوم.

صورة الرجل المتدين

في رواية السقوط في الشمس بدت صورة الرجل المتدين مغايرة تماماً لما أسلفنا الحديث عنه حول صورته في روايات النساء بشكل عام، فسناء الشعلان أظهرت صورة الرجل المتدين بأفضل صورة وجعلته أكثر الشخصيات أخلاقاً وطيبة وقد تمثلت صورة الرجل المتدين بشخصية أجود الذي كان مغرمًا بالورود وبييعها في حانوته الذي أسماه (جنة أجود)، إلا أن لتدين أجود قصة مختلفة عن المتدينين في الروايات الأخرى فأجود درس الفلسفة وتأثر بالفكر الاشتراكي وترك الإسلام والحد، وأكثر ما جذبته بالاشتراكية هي المساواة في كل شيء بين الأفراد وإلغاء نظام الطبقات فلا يوجد فقير ولا غني فكلهم سواء .

يعود أجود من دراسته إلى أهله الذين قاطعوه حتى أمه لم تكلمه بسبب إحاده، وحرمه إخوته من الميراث وطردوه خارج البيت وأعطوه حانوت أبيه القديم، فعمل أجود في الزهور وأعاد ترميم حانوت أبيه وأسماه جنة أجود وقام بالعمل في بيع الورود وكانت الورود سبباً في هدايته فكان كل يوم يجلس يتأمل وروده وجمالها "رأيتها جميلة تسبح باسم الخالق، تأملت الزهور لأسابيع طويلة، ألوانها وروائحها كلها دلائل على عظمة الخالق، لا يمكن أن تخلق الزهور نفسها، بل لا بد من خالق مدبر، كنت

أسمع الزهور تسبح باسم الله، أما أنا فجاهد كافر، فيما بعد كنت أسبح معها، أتفكر في قدرة الخالق، طلبت الغفران طويلاً من الله، عندما سكنتني تلك السكينة عرفت أن التوبة باب لا يغلق"¹ فقد سخر الله الزهور لهداية أجود الذي عشق هذه الزهور، ففي قصة إيمان أجود تتعمد سناء الشعلان ربطها بالزهور لتضفي عليها الكثير من الرقة واللين والحب الذي دعا إليه الإسلام، فهي بذلك تحطم كل القسوة والفظاظة التي يمارسها بعض الناس باسم الدين ويهاجمون فيها المسلم قبل الكافر، وجعلت من عشق أجود للزهور طريقاً للهداية، فتخرج لنا بأسلوب جديد لا يحاكي الواقع في التدين والالتزام.

كما وتحدثت سناء الشعلان عن صفات أجود الذي يمثل صورة الرجل المتدين فقد كان خلوقاً دمثاً طيب القلب، يحبه الزبائن ولا يقطع صلاته في المسجد، ويثق فيه زبائنه ويأتمنونه على أسرارهم، كما كان كريماً مع زبائنه يعطيهم بعض الزهور المجانية؛ لأنه يحب أن يرى كل الناس سعداء، ثم إنه كان شاباً خجولاً عندما يحدث النساء يرتبك وتتغير ملامحه "هو يخشى الله، حمرة من نوع خاص تعلو وجهه، أقبل المال، أشكره عليه، لا أعد المبلغ، أقدر أنه مبلغ قليل، أدسه في محفظتي أعاود تنسيق باقة أمامي، الحمرة تفارق وجه أجود، ويعود الصفاء إليه"².

لقد حضرت صورة أجود الذي يتصف بالحياء والأدب مع الجنس الآخر مناقضة لصورة الرجل الشهواني الذي لا يترك امرأة إلا ويغازلها فهو لا يعرف عن الحب شيئاً والفرق بين أجود المتدين والرجل الشهواني أن الشهواني لا يفكر بالزواج مطلقاً ولا يهتمه مشاعر المرأة، ولا يهتمه كسر القلوب ولا يهتمه الخيانة فهو أساساً لا يقدر المرأة ولا يحترمها ولا يعترف بحقوقها أما أجود الرجل المتدين عندما أعجبت امرأة ذهب مباشرة ليخطبها من أهلها فهو لا يتلاعب بمشاعرها بل يتوجح حبهما بالزواج.

¹ الشعلان، سناء: رواية السقوط في الشمس، ص144-145.

² المصدر السابق، ص142-143.

ومن أهم الصفات التي ميزت أجود المتدين حبه لوالدته وتقبيل يدها كل يوم والسعي لنيل رضاها، حتى لما قاطعته ظل يزورها دوماً، فرضاها بالنسبة له أهم شيء في الحياة.

وقد تميزت صورة الرجل المتدين في رواية (السقوط في الشمس) بأنه كان رجلاً متعلماً مثقفاً، لديه فلسفته الخاصة في الحياة، فلم يكن ساذجاً يتهم ويطلق الأحكام على الناس كيفما يشاء، تعلم من الدين الأخلاق وحسن المعاملة بعكس الصورة النمطية للرجل في الروايات الأخرى التي لم يعرف الرجال فيها من الدين سوى أحكام المرأة والزواج فأجود لم يذكر التعدد ولم يهاجم المرأة، بل كان يحترم (أرتميس) ويعاملها معاملة حسنة مع أنها كانت غير ملتزمة بالحجاب وغير متدينة بل على العكس من ذلك فقد أعجب بها وعرض عليها الزواج، ترمي الكاتبة من خلال رسم صورة الرجل المتدين على هذه الملامح إلى جعل الرجل المتدين متقبلاً للآخر، ينظر إلى القضايا المهمة من الدين لا إلى قضايا المرأة فقط.

صورة الرجل والسلطة

إن السلطة الذكورية نشأت منذ عصر العبودية فانتقلت من سيادة الأب إلى الزوج¹، وعلى الرغم من أن الكاتبة في روايتها قد بدت بشكل ما مناصرة للرجل وذلك من خلال محاولتها الدفاع عنه والتماس الأعذار له بسبب مختلف مواقفه السيئة في المجتمع إلا أنها لم تجد بداً من التوقف على صورة الرجل الظالم فهو لا يظلم المرأة كما في روايات النساء التي حاولت تغليب هذه الصورة على مختلف صور الرجل، إنما يظلم الرجل الذي كان ضحية لهذا الظلم كما المرأة وكأنها تخلق من خلال هذه الصورة طرفاً ثالثاً في المجتمع يقدر الظلم على الرجال والنساء سواء، بل ربما يكون الرجل أكثر

¹ ينظر: مناصرة، حسين: المرأة وعلاقتها بالآخر في الرواية العربية الفلسطينية، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 2002، ص49.

عرضة لهذا الظلم من المرأة، فالرجل الظالم لا يفرق في ظلمه بين الرجل والمرأة فغريزة الظلم لديه عامة.

وفي رواية (السقوط في الشمس) تمثلت شخصية الرجل الظالم في ضابط المخابرات الذي سجن عيسى وجنوده، وقد وضعت سناء الشعلان في هذه الصورة أسوأ الصفات الجسدية والمعنوية، فجسدياً جعلته قذراً لا يهتم بنظافته، تفوح منه رائحة عرق نتنة، وقد تطرقت الكاتبة إلى وصف شكله ولباسه لتكتمل الصورة السلبية لهذا الرجل "أما ذلك الضابط ببذلته الداكنة، وعينيه الغائرتين، وأنفه المعكوف كالصقر"¹ وكأن سناء الشعلان تحاول أن تجعله بصورة مخيفة وشكل أروع.

ولا تكتفي الكاتبة بهذه الصفات بل تستطرد لتخوض في مكنونات نفسه وخبايا شخصيته، فتجعله رجلاً يستقوي على الضعفاء ولا يستطيع أن يجابه العدو الحقيقي لهذه الأمة، حتى أن الكاتبة تستبعد أن يكون لديه فكر أو مبدأ يسيره، إنما يسير وفقاً لهوى قاداته ورغباتهم ومن هم أعلى منه رتبة، فهو يظلم نفسه قبل أن يظلم أبناء شعبه.

ومن صفات الرجل الظالم التي وقفت الكاتبة عندها أنه بلا ضمير، فهو لا يشعر بالذنب، ولا تتحرك مشاعره الإنسانية عندما يعذب المتهمين ويوقع عليهم أشد أنواع العذاب الجسدي والمعنوي، أما عن وضع عائلته وأبنائه، تتساءل حول شعورهم بأنهم أبناء رجل ظالم، هل يفخرون به أم لا يحبون وجوده في حياتهم؟ وهل يراه أبنائهم وهل يدللهم ويعطف عليهم كباقي الآباء؟ وكأن الرجل الظالم نكرة في مجتمعه ووطنه وعائلته، فبدل أن ينشغل بأبنائه وعائلته ومستقبله، ينشغل بتعذيب الناس وزجهم في السجون.

¹ الشعلان، سناء: رواية السقوط في الشمس، ص 115.

ومن صفات الرجل الظالم أنه شهواني لا يقاوم النظر إلى النساء " أتخيل الضابط الذئب سينقض في أية لحظة على نورما، ويفترسها بلا رحمة، ثوبها القصير يناسب نظراته تماماً، لا ينفك يطالع لحم ساقها من وقت إلى آخر ثم يعود ليحدث الجميع عن الأشراف والأحرار، ولكن من وجهة نظره"¹، فالضابط الذئب لا يعرف شيئاً عن الشرف والرجولة، ومع ذلك لا يتحدث إلا عن الشرف مدعياً أنه من الشرفاء، فلا يصون شرف أرضه وأهله ولا يلتزم بضوابط وقوانين، ونظراته لا تترك امرأة وشأنها، "نظرات الضابط تشيع ساقى نورما، أكاد ألمح لعبه يتنزي من بين شفتيه، ليته يستطيع أن يقرأ العيون بدل متابعة السيقان لرأى في عيني نظرة اشمئزاز قادرة على قتله"²، ف (أرتميس) تنتقد الضابط وتهزأ منه لأنه لا يفهم شيئاً سوى الجنس والنساء وتشبّهه بالحيوانات المفترسة فهو ينظر للمرأة كأنها فريسة أمامه، وتقول (أرتميس) لو أن الضابط لديه مشاعر وأحاسيس لفهم معنى نظراتها إليه، هذه النظرات المليئة بالاشمئزاز والاحتقار لو فهم معناها لقتل نفسه أو لترك هذا العمل البذيء.

لقد بالغت الكاتبة في تحقير صورة الرجل الظالم، حين جردته من جميع القيم الإنسانية، والسبب الذي جعلها تكون ناقمة على هذه الصورة للرجل أكثر من أي صورة أخرى هي أن هذا الظالم في الواقع له أثر سيء في حياة الشعوب العربية، وسناء الشعلاّن مواطنة عربية عايشة الشارع العربي ورأت معاناة الرجال وعائلاتهم من بطش الرجل الظالم، لهذا ركزت على هذه الصورة وأظهرتها بأسوأ أشكالها لتلفت نظر المجتمع العربي لذلك، ولتبين لهم مدى ضعف هذا الظالم وبالتالي تشجعهم على التحرر من قيوده، فلا يسمحوا لهذا الجاهل أن يتحكم بهم وهم أعلى منه أخلاقاً وعلماً وضميراً فما هو إلا مجرد وحش بشري وأداة يحركها أسياده، ويعيش حياته ذليلاً ويموت ذليلاً.

¹ الشعلاّن، سناء: رواية السقوط في الشمس، ص117.

² المصدر السابق، ص118.

ومن الصور الأخرى للرجل الظالم التي ذكرتها سناء الشعلان صورة الجندي الفقير المظلوم الذي لا يعرف من دنياه سوى بيته والمعسكر، محروم من جميع متع الحياة، يناصر الظالم دون أن يرفع ذلك من مستوى معيشتة، يضيع شبابه في المعسكر يخدم أسياده، وقد صورته سناء الشعلان بأنه شاب يافع حرم نفسه ملذات الحياة، باختياره أن يكون جندياً، والاختلاف بين الجندي والضابط أن الضابط مجرد من الأحاسيس والضمير، أما الجندي فكان كما صورته سناء الشعلان يحمل الكثير من التأثير في عينيه، ومع ذلك يؤثر الصمت فهو يشارك الظالمين في تعذيب أبناء شعبه مبرراً ذلك بلقمة عيشه، وهذا ليس عذراً كما ترى الكاتبة؛ فهناك الكثير من الفقراء الذين آثروا الفقر على أن يكونوا أداة للظلم، فهذا الجندي على الرغم من إخلاصه الشديد لأسياده طمعاً في لقمة العيش إلا أن مستواه المادي قليل فهم يعطونه القليل من الفتات ليعيل نفسه وعائلته، فهذا الجندي يمثل صورة الرجل مسلوب الإرادة، الضعيف، المهزوز فلا يرى نفسه كالبشر.

صورة الرجل الفلاح

تعد صورة الفلاح من أظهر الصور التي رسمتها المرأة للرجل في روايتها، فهو محب مخلص متفاني أثمر حب الأرض فيه درجة عالية من الوفاء، يرى بقلبه قداسة الأشياء فيقدم في سبيلها كل ما يملك، غير أنه لا يبالي بردة فعل الآخر، فهو يرى الأرض في كل شيء لاسيما المرأة يرى تجليات الأرض في أنوثتها وعطائها الدائم غير المنقطع فهي لا تعرف إلا أن تعطي خير ما عندها غير مبالية بأفعال الآخرين تجاهها، وهو مخلص في حبه أميناً لميثاقه مدافعاً مكافحاً عن كل ما يحب، فعلى الرغم من خذلان المحيطين به لم يصبح جبانا ولم تتغلب عليه غريزته الجنسية ليصبح شهوانياً على الرغم من الحب الكبير عنده للمرأة وقد حاولت سناء الشعلان أن تظهر هذه الصورة بكامل تجلياتها فهي تجمع في طياتها كل الصفات الحسنة التي يمكن أن تجتمع في رجل واحد يعيش على الحب

ويموت في سبيله دون أن يسمح للحياة رغم قسوتها وكم الخيانات التي تتخللها أن تسجل عليه موقفاً يسيء إليه.

وقد تناولت سناء الشعلان صورة الفلاح في روايتها لتزيد من جمال صورة الرجل، فعندما لبس (هيلوس) حبيب (أرتميس) لباس الفلاح زاد جمالا في عيون حبيبته، وأصبحت عيونه كعيون الفلاح في نظراتها، في حداثها كالصقر في قوتها وفي طيبتها، أصبحت عيون حبيبها تمتلئ بحب يشبه حب الفلاح لأرضه وحبيبته، وتشبه طهر حبيبها وقداسته بطهر الفلاح، "تقول لي بصوت خفيض، ولكن بقوة صوت فلاح أجهد الأرض وما أجهدته: تعبت وأنا أنتظرك"¹، فشبهت حب حبيبها لها بقوة الفلاح وعزيمته التي جعلته يحول الأرض البور إلى سهول وجبال خضراء، لقد رسمت للفلاح صورة إيجابية لم تذكر معها بعض عادات الفلاحين الظالمة للمرأة، بل جعلت صورة الفلاح حبيبا مخلصا ورجلا قويا يحفر الصخر دون كلل أو ملل، والسبب الذي دفع الشعلان إلى التركيز على الصورة الإيجابية للفلاح لتسلط الضوء على حب الأرض والوطن والتمسك بهما.

صورة الرجل الفقير

تعد صورة الرجل الفقير في الروايات عامة والرواية النسوية خاصة صورة أساسية ضرورية الحضور في الرواية؛ إذ لا بد من التوقف عندها والخوض في تفاصيلها فلا يمكن أن تغض الطرف عن شريحة عريضة من شرائح المجتمع لاسيما في المجتمعات العربية التي تعاني الفقر وترتفع فيها منسوبات البطالة فهو كغيره من الرجال يسعى إلى الحب وتحقيق رغباته وإشباع نزواته إلا أن الفقر يحول دون تحقيق ذلك، لقد ظهرت صورة الرجل الفقير في الرواية بالعاجز الضعيف فهو غير قادر

¹ الشعلان، سناء: رواية السقوط في الشمس، ص76.

على أن يحقق طموحاته والفوز بقلب أنثى لأنه يعلم أن الطريق الوحيد إلى ذلك القلب هو فقط من خلال المال الذي مكن غيره من الرجال ممن يملكون المال أن يقيموا علاقات عدة مع غير امرأة.

ففي رواية السقوط في الشمس جسدت الكاتبة معاناة الرجل الفقير، فهي ترى فيه رجلاً فقد جميع متع الدنيا ولم يبق له سوى متعة واحدة وهي النظر إلى النساء والتمتع بجمالهن، ومن الشخصيات التي مثلت الرجل الفقير شخصية أبي علي قاطع التذاكر في القطار الذي حفرت السنين آثارها على وجهه، وحرقت الشمس بشرته، "وبشرته التي تكاد أن تكون سوداء لكثرة ما لوحتها الشمس، فلقمة العيش كثيراً ما تحرق وجوه أصحابها لا سيما إذا كانوا فقراء"¹، فأبو علي تحمل الكثير في سبيل عيش حياة كريمة، وفي سبيل الحصول على لقمة العيش، وقد صورت الشعلة حياة أبو علي على أنها تنحصر فقط بالقطار ونساء القطار، فأبو علي برغم فقره كان محباً للنساء وكانت نظراته تلتهم أجسادهن، وكأن الكاتبة عندما جعلت الرجل الفقير محباً للنساء شهوانياً فهي تريد أن تجعل الرجال كافة يتميزون بهذه الصفة بغض النظر عن ظروفهم المعيشية، فالرغبة بالنساء تتغلب على كل مصاعب الحياة فلا يحول دونها حائل.

ومن الشخصيات الفقيرة الكادحة في رواية السقوط في الشمس كاظم الشاب العراقي الذي خدع حبيبته وأوهمها بأنه من عائلة غنية وأن والده ضابط كبير في العراق، وأخبر حبيبته فضيلة بأنه طالب يدرس في الجامعة، وقد كذب كاظم على فضيلة خوفاً من أن يخسرها ويخسر حبها، فكاظم لم يكن سوى عامل كادح فقير جداً، ووالده مريض عاجز، وكانت فكرته عن النساء خاطئة؛ فكاظم ظن أن فضيلة ستتركه إذا علمت بفقره، وقد صدمت فضيلة من كذبه وخداعه أكثر من فقره، ومع ذلك وعدته بأن تنتظره إلى أن يؤسس نفسه ويعمل ليتزوجها، فيعود كاظم إلى البصرة ليعمل وينني مستقبله ليكون

¹ الشعلة، سناء: رواية السقوط في الشمس، ص8.

أهلاً للزواج من فضيلة، إلا أن القدر يحطم أحلامه ويجبر كاظم على الذهاب إلى الجيش ويستشهد، ليلقب بعد ذلك بشهيد الحب وشهيد الفقر وظروف الحياة الصعبة، ثم شهيد الانقسام والتطاحن بين الأخوة، ضحية لكل مشاكل المجتمع العربي.

فصورة الرجل الفقير كما رسمتها الشعلاّن تجعلنا نقف على معاناة الرجل ومسؤوليته في الحياة، فمن الظلم في المجتمع العربي أن ندافع عن المرأة لأنها مظلومة ونتهم الرجل بظلمها، دون أن نلقي نظرة على واقع الرجل وعلى ضغوط الحياة التي أثقلت كاهله، فسواء الشعلاّن في تجسيدها لهذه الصورة بينت مدى المعاناة والظلم الواقع على الرجل، وكأنها تفتح عيون النساء لكي يشعروا بمعاناة الرجال في المجتمع العربي.

وبعد تحليل صورة الرجل في رواية السقوط في الشمس لسناء الشعلاّن نلاحظ اختلافاً واضحاً في أسلوب الكتابة بين سناء الشعلاّن والروائيات الأخريات، فرواية المرأة لم تتعاطف مع الرجل فلم نر روايات يذكرن إيجابيات الرجل ففي الغالب نرى الروائيات يهاجمن الرجل، ولا يبرزن إلا الصورة السلبية له، أما سناء الشعلاّن فهي لم تهاجم الرجل بل نلاحظ أن بعض النصوص في روايتها السقوط في الشمس ترفع من شأن الرجل بل تقدسه وتقدمه على المرأة، وكانت قد بدأت روايتها بأسطورة آدم وحواء التي تنسب الفضل إلى آدم في وجود حواء "أنت من روح الخالق وأنا نسبية جسدك وبعض من وشائجه"¹، وقد غلبت الصورة الإيجابية للرجل في رواية السقوط في الشمس، حتى عندما كانت الكاتبة تذكر صوراً سلبية كانت تتعاطف مع الرجل وتجعل له عذراً، وقد تعاطفت سناء الشعلاّن مع الرجل الفقير بشدة فهي جعلت فقر هذا الرجل يشفع له أخطائه ونظراته للنساء.

¹ الشعلاّن، سناء: رواية السقوط في الشمس، ص5.

على الرغم من حرص الشعلان على تبيين صورة الرجل وإيقاع مختلف الصفات الإيجابية عليها، إلا أنها جعلت المرأة أقوى من الرجل وقدمتها على الرجل في بعض المواضع، ففي صورة المرأة الزوجة تصف صورة الزوج الضعيف الذي تعيله زوجته، وفي صورة الرجل المحب نرى الحبيبة قوية تقف إلى جانب حبيبها حتى عندما يخونها تقف إلى جانبه وتواسيه، فالكاتبة تدعو المرأة إلى أن تكون قوية حتى تتخلص من سطوة الرجل وظلم المجتمع؛ لكن بأسلوب مغاير جدا لروايات النساء التي هاجمت الرجل وأساءت إليه في كثير من الأحيان وذلك في سبيل دعوتها إلى تحررها ونيل حقوقها، وهذا ما دعت إليه الشعلان؛ لكن بأسلوب نكي إيجابي يؤثر في الرجل والمرأة.

ومن اللافت للنظر أن سناء الشعلان قد تجاوزت بعض الصور السيئة للرجل التي ذكرتها الروايات مثل صورة الرجل الشاذ، والرجل المغتصب، والرجل العنيف الذي يضرب زوجته أو ابنته أو أخته، كما تجاوزت صورة الرجل المتدين المهووس بالجنس في روايتها السقوط في الشمس، بل على العكس تماما كان الرجل المتدين في الرواية من أفضل الشخصيات وأرقاهم خلقا وأطيبهم قلبا، وتهدف الكاتبة من ذلك إلى التغيير من خلال الوصول إلى عقول القراء وقلوبهم وتوجيههم إلى مجتمع يتقبل الآخر وإلى الاقتداء بشخصية الرجل المتدين (أجود) صاحب الخلق السمع والقلب المحب للجميع؛ وبهذا تكون الشعلان أضافت أسلوبا جديدا للروايات، يقوم على سرد الإيجابيات وتجميلها في نظر القارئ.

الخلاصة

تمثلت صورة الرجل من خلال عدة تجليات تقود إلى صور إيجابية وصور سلبية، تنبع من الرؤيا التي تؤمن بها الكاتبة سناء الشعلان، وبرزت صورة الرجل من خلال الأعمال التي يقوم بها مع مجموعة الشخصيات الأخرى، فضلا عن الأحداث الروائية التي تظهر ردة فعله تجاه ما يدور من أحداث في الرواية.

الفصل الثالث

البعد النفسي والسياسي والاجتماعي في رواية السقوط في الشمس

يُعدُّ الأدب من أهم الفنون التي تجسد الواقع وتصوره وتناقش قضاياها السياسية والاجتماعية والنفسية؛ فالانعكاس في الأدب هو انعكاس للواقع الاجتماعي، فتجسيد الواقع في الأدب يكون إيجابياً وذلك بدعم قيم وعادات جيدة والتشجيع عليها لما تعود به من نفع على ذلك المجتمع مثل تجسيد صورة المثقف والمتعلم وأثرهما في المجتمع وبنائه والحرص على الرفع من مكانتهما، أيضاً يحرص على رسم صورة إيجابية لمشاعر المحبة والألفة ومساعدة الغير والوطنية والوفاء، كل هذه الصفات وغيرها ممن تعد انعكاساً إيجابياً في الأدب، وقد يكون الانعكاس سلبياً هدفه تغيير تلك الصفات السلبية في المجتمع وإبراز المشاكل التي يعاني منها من أجل التنبيه إليها في محاولة لمحاربتها واستبدال العادات الإيجابية بها.

وجزء مهم من الأدب الذي سخر من أجل تلك الغايات النبيلة كانت الرواية التي تعدُّ من أهم الفنون التي تعمل على تعميق وعي القارئ بالحياة من خلال تجسيد الواقع حين تعكس رؤية الكاتب ومشاركته قضيته؛ فالرواية تجعل القارئ ينسجم مع أفكار الكاتب التي يعكس فيها الواقع ومشاكله، وواحدة من هذه الروايات التي تعدُّ خير مثال لهذا كانت رواية "السقوط في الشمس" التي حملت العديد من تلك الانعكاسات إن سلبية وإن إيجابية في محاولة من الكاتبة لإبرازها.

البعد النفسي في رواية السقوط في الشمس

عند تحليل البعد النفسي في الرواية لا بد من التعرف إلى المنهج النفسي وبيان أهميته، ثم نشأته؛ وذلك قبل أن نقف عند تجليات الانعكاس النفسي في رواية السقوط في الشمس، يرتبط علم النفس

بالأدب ارتباطاً وثيقاً؛ فالأدب يركز بشكل كبير على مكونات النفس ومشاعرها من حب وخوف وتفاؤل وتشاؤم؛ لذلك نجد الكاتب عندما يكتب يستحضر تجاربه النفسية، ويتأثر بواقعه وحياته منذ طفولته، وكذلك الحال عند النقاد فعند الإجماع على نقد عمل فني ما لا بد لهم من التعرف إلى حالة الكاتب النفسية والمؤثرات المحيطة بها؛ فالكاتب يصف واقعاً نفسياً معيشاً في مجتمعه العام؛ إذ ليس شرطاً أن يكون قد صور تجربته الشخصية، لذلك كثيراً ما نجد أعمالاً فنية تصور الكثير من المشاعر والصراعات النفسية المجتمعية إلى جانب تجارب الكاتب الشخصية.

يستمد المنهج النفسي "آلياته النقدية من نظرية التحليل النفسي التي أسسها النمساوي (سيغموند فرويد) فسر على ضوءها السلوك البشري برده إلى منطقة اللاوعي (اللاشعور)"¹؛ فمنطقة اللاشعور عبارة عن رغبات الإنسان التي يخبئها بداخله ويفكر فيها في أحلام اليقظة أو في أحلام النوم ويقوم الكاتب بالبوح بها في أعماله الأدبية المختلفة من شعر ونثر وغيرها.

ويرى (فرويد) أن العمل الأدبي "موقع أثري له طبقات متراكمة من الدلالة، ولا بد بالتالي من كشف غوامضه وأسراره"²؛ فالأدب كان عند فرويد هو تعبير الكاتب عن رغباته وما يدور في عقله الباطن ولا يستطيع فعله أو يكتبه في داخله ولا يستطيع التعبير عنه، وكان من أهم القضايا التي اهتم بها (فرويد) تفسير الأحلام باعتبارها أساساً للعقل الباطني ومفتاح الدخول للنفس البشرية، لذلك ركز على اللاشعور وكيف يعبر الإنسان عن الأفكار والرغبات التي تدور في العقل الباطن، إما بالأحلام عند النوم أو أحلام اليقظة والخيال، في حين أن الأديب يعبر عن أحلامه ورغباته من خلال تصويرها وتجسيدها في كتاباته لهذا "فإن كل تعبير (سلوكاً أو لغة أو خيالاً) هو مجموعة علاقات معقدة

¹ وغيلسي، يوسف: **مناهج النقد الأدبي**، الطبعة الأولى، الجزائر: جسر للنشر والتوزيع، 2007م، ص22.

² الرويلي، ميجان وآخرون: **دليل الناقد الأدبي**، الطبعة الثالثة، بيروت: المركز الثقافي العربي، 2002م، ص333.

تتوسط وتتدخل في كل ما يعتقد المرء أنه يفعله أو يقوله أو يحلم به ¹، وقد بالغ (فرويد) في تحليله النفسي ونظرياته فوصف الأديب بأنه مريض نفسي.

أما عند العرب قديما فقد حوت كتابات الأدباء العرب العديد من التلميحات والإشارات للبعد النفسي وأثره في الكاتب والقارئ على حد سواء، فكان منهم من ركز على نفسية الكاتب وأثرها على موضوع الكتابة وأغراض الشعر مثل الجاحظ وابن قتيبة، ومنهم من تحدث عن أثر الكلام وبلاغته في نفوس المتلقين مثل عبد القاهر الجرجاني في كتابه (أسرار البلاغة، ودلائل الإعجاز).

بعد الحديث عن بدايات المنهج النفسي، لا بد أن نوضح أهمية علم النفس في بحثنا، لأننا من خلال توضيح أهمية علم النفس سنصل إلى أهم الانعكاسات النفسية وأهم العناصر التي يهتم بها علم النفس فعلم النفس يهتم بـ "سلوك الإنسان أي يصف هذا السلوك ويحاول تفسيره، ونقصد بالسلوك كل ما تصدر عن الفرد من استجابات مختلفة إزاء موقف يواجهه، إزاء مشكلة يحلها أو خطر يهدده، أو قرار يتخذه أو مشروع يخطط له....."²، يقف علم النفس على أهم المشاعر التي يعايشها الإنسان من خوف وحزن وحب وكره، ويتعمق في الذات الإنسانية ليكشف عن خباياها ومشاكلها، والدراسة النفسية للأدب تساعدنا في خلق أدب جديد³، وفي هذا البحث سنوضح أهم المشاعر والصراعات النفسية التي انعكست في الرواية على الشخصيات.

¹ الرويلي، ميجان وآخرون: دليل الناقد الأدبي، ص 333.

² عويضة، كامل: علم النفس، الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية، 1996م، ص 4.

³ عصار، خير الله: مقدمة لعلم النفس الأدبي، الجزائر، مؤسسة بونة للبحوث والنشر، ط1، 2008، ص 27.

الانعكاس النفسي في رواية السقوط في الشمس

إن العلاقة بين الأدب والنفس لا تحتاج إلى إثبات فالنفس هي التي تصنع الأدب وكذلك يصنع الأدب النفس¹.

ولا بد لنا عند دراسة الانعكاس النفسي داخل الرواية أن نقف على بعض الموضوعات النفسية ونعرّفها ونحللها للتوصل إلى مدى الأثر النفسي وانعكاسه في الرواية وعلى الشخصيات، وسندرس في هذا البحث قضايا عدة متعلقة بالذات والصراع النفسي، والحالات النفسية للشخصيات.

أولاً: الذات والصراع النفسي:

- الذات:

هي عبارة عن المشاعر والأحاسيس ومعتقدات النفس، والذات هي التي تحدد الاختلافات النفسية بين شخص وآخر، فالذات هي "نظرة الإنسان لنفسه وكيفية تفكيره وتقييمه لها، والصورة التي تنطبع في ذهنه عن نفسه"²؛ فالذات إذاً عبارة عن التعبيرات العاطفية لكل فرد، سواء حب أو كره أو حالة نفسية عاشها كل شخص في طفولته، أو أحداث أثرت على نفسيته خلال مراحل حياته، وأيضا يمكن أن تكون نظرتة لشكله وجسده وصفاته المادية بالإضافة إلى المشاعر والصفات المعنوية الروحية.

والذات داخل السرد الروائي قائمة على المشاعر التي تعيشها الشخصية من خوف وحب وقلق وتشاؤم وتفاؤل ومن أكثر ما يبرز ذات الشخصيات هو الحوارات الداخلية والخارجية في السرد الروائي.

¹ إسماعيل، عز الدين: التفسير النفسي للأدب، بيروت، دار العودة، ط4، 1981، ص13

² سلامة خلود : مفهوم الذات، 2019، hyatok.com.

ومن الحالات النفسية التي تعبر عن الذات في السرد الروائي:

- التشاؤم:

التشاؤم هو النظر إلى أمور الحياة بطريقة سلبية والتنبؤ بمستقبل سيء، والتشاؤم يعمل على قتل الأحلام والطموح داخل الذات، ويجردها من متع الحياة، كما يصيب الذات نتيجة للضغوطات النفسية أو أحداث وصدمات تعرضت لها الذات، أو بسبب ظروف الحياة الصعبة سواء المادية أو العاطفية، كما يقلل التشاؤم من احترام الذات لنفسها، لذلك نجد الأشخاص المتشائمين يصابون بالاكتئاب الذي يجعلهم ينتقدون أنفسهم، فلا يهتمون بمظهرهم وأناقتهم.

في رواية السقوط في الشمس نجد شعور التشاؤم ينتاب (أرتميس) كلما تخيلت مستقبلها مع حبيبها (هيلوس) بسبب علاقته بشرف فتتخيل نهاية محزنة لحبها معه، ولكن شعور التشاؤم لم يكن يصاحبها دائماً، بل كان يتبادر إليها في بعض الأحيان، أيضاً نجد شعور التشاؤم وموت الأحلام وعدم الرغبة في الحياة عند (أرتميس) وذلك عندما تأتي لترى حبيبها (هيلوس) في المستشفى بعد ثماني عشرة سنة من الفراق فتعبر عن مشاعرها قائلة: "عود الحياة قد يبس في داخلي من دون شك، وإلا لم أشعر بحطام يسكنني في هذا الشارع الطويل؟"¹ ففراق (أرتميس) عن حبيبها سبب لها التشاؤم وقتل رغبتها في الحياة وسلب شبابها وسعادتها وسنين عمرها ضاعت بالحزن على حبيبها.

- الخوف:

هو حالة مفاجئة تنتاب الذات ورد فعل نتيجة لحدث معين، ونتيجة للشعور بالخطر على الجسم والحياة، ويؤثر الخوف على الجسم، فيحدث تغيرات داخلية مثل زيادة سرعة دقات القلب، التشنج،

¹ الشعلان، سناء: رواية السقوط في الشمس، ص 137.

التصيب عرقا إلا أن الخوف حالة مفاجئة وليست دائمة مثل التشاؤم الذي يصاحب الذات بشكل مستمر، ومن مشاعر الخوف التي انعكست على الشخصيات في رواية السقوط في الشمس، خوف (أرتيميس) واضطرابها عندما ذهبت لترى حبيبها بعد فراق دام سنوات، ف(أرتيميس) تصف حالتها بسبب التوتر والخوف الذي تشعر به "أشعر بوحدة خرافية في هذا المكان، أكاد أشعر بقدمي تخوران فلا تكادان تعيناني على الوقوف، أمعائي تضطرب، والقيء يكاد يصل إلى أعلى بلعومي".¹

لقد وصفت سناء الشعلان بدقة متناهية أثر الخوف على نفسية الشخصية وعلى جسدها، إن الخوف عادة يؤدي إلى اضطرابات جسدية وألم في أعضاء الجسم، فالكاتبة أبدعت في وصف لحظة الخوف وانعكاسها على (أرتيميس) بطلة الرواية، ومن المواقف التي عالجتها سناء الشعلان في قضية الخوف خوف (أرتيميس) من نظرات عيسى الشاب الفلسطيني الذي يلاحقها دائما بنظراته، وكذلك خوفها من الشكوى لحبيبها (هيلوس) عن نظرات عيسى فقد خافت من ردة فعل (هيلوس) الذي يغار عليها كثيرا "ليتاك يا حبيبي تخلصني من نظراته بطريقة ما، لكنني أخشى أن أشكو لك هذه المطاردة"²، فهنا بينت الكاتبة ردة فعل الشخصيات وانعكاس العلاقة بين الشخصيات على نفسياتها ف(أرتيميس) تخاف عيسى وكذلك تخاف من ردة فعل حبيبها إذا عرف بنظرات عيسى، هنا رسمت سناء الشعلان انعكاسا نفسيا للعلاقات القائمة بين الشخصيات وليس لشخصية واحدة فقط، أيضا من الأشياء التي كانت تخاف منها (أرتيميس) المرتفعات فهي تخشى الأماكن العالية ولا تذهب إليها.

¹ الشعلان، سناء: رواية السقوط في الشمس، ص12.

² المصدر السابق، ص75.

ثانياً: الصراع النفسي

الصراع بشكل عام نفسي أو جسدي قديم قدم البشرية، يحدث عندما تتعارض عند الشخص أوامر الواجب وميول النفس¹، ولا بد من وجود طرفين لكي يتم الصراع، فالصراع قائم باختلاف وجهات النظر والقوانين البشرية، وهو "تعارض قوتين إحداها دافعة والأخرى مانعة، وحياة الكائن البشري لا تخلو من الصراعات النفسية"² أو يحدث عندما تتعارض أوامر الواجب وميول النفس عند الشخص³. والصراع النفسي يدور داخل النفس دون أن يطلع عليه أحد، يدور بين نفس الإنسان الجيدة والعقلانية من جهة وبين رغبات الإنسان ونزواته من جهة أخرى، وينقسم الصراع النفسي إلى قسمين:

- صراع داخلي:

فالصراع الداخلي "يجري المونولوج داخل الشخصية ومجاله النفسي، أو باطن الشخصية، ويقوم بإدخال القارئ إلى الحياة الداخلية للشخصية، ومن دون تدخل الكاتب"⁴.

وفي رواية السقوط في الشمس نجد الكثير من الصراعات النفسية داخل الشخصيات خصوصاً (أرتيميس) التي كانت في البداية تعيش صراعاً مع نفسها لكي لا تحب (هيلوس) وتقع نفسها بأنها تكرهه "إنني في ذلك اليوم قررت ترك الأكاديمية، ومنع نزول لعنتك علي والعودة إلى بلدي ونسيان

¹ موساوي، أحمد: في أدب نجيب الكيلاني أبعاد الصراع وامتداداته، القاهرة، مكتبة الآداب، ط1، 2009م، ص28.

² صادق يسرية وآخرون: مقتطفات من علم النفس في الكوارث والصدمات والأزمات، مصر: مكتبة الأنجلو المصرية، 2018م، ص12.

³ ينظر: موساوي، أحمد: في أدب نجيب الكيلاني أبعاد الصراع وامتداداته، ص28.

⁴ <https://m.ahewar.org/s.asp?aid=616805&r=0>.

كل الدنيا لأنساك أنت بالذات"¹؛ فالكاتبة نجحت ومن خلال الصراع الداخلي للشخصيات السمات النفسية لها وعلاقتها بالشخصيات الأخرى وبينت ما يضررونه تجاه بعضهم.

لقد كانت (أرتميس) خائفة من مصير الحب ونهايته فكانت تحاول الابتعاد عن (هيلوس) وتحاول ألا تلتقي معه على الرغم من عجزها على القيام بذلك؛ فكانت دائما تخوض صراعا داخليا مع نفسها حول هذا الحب وكأن عقلها يقنع قلبها ويحرضه ولكن قلبها لا يستجيب "الليلة الماضية كانت طويلة، طويلة لأنني قضيتها أعاهد نفسي على عدم لقاءك، وحتى لو كان لقاءك قدري فيجب أن أتصدى له"².

- الصراع الخارجي:

يكون بين أكثر من شخص، أو بين شخص وبيئته ومعتقدات مجتمعه، وبذلك يكون الصراع الخارجي ضد قوى خارجية لا علاقة للذات بها، فالصراع الخارجي في الرواية "يقع بين شخصيات الرواية، ويكون طويل المدة أحيانا ومركزيا مصيريا، ويلجأ الروائي إلى الصراع الخارجي أكثر من الداخلي كي يزيد من انفعال القارئ حيث إن الصراع هو النقطة الأكثر تأثيرا في نفس القارئ، وهو اللحظة التي تصل بالقارئ إلى أعلى درجات الانفعال"³.

وفي رواية السقوط في الشمس ظهر أكثر من صراع بين الشخصيات، ومن أقوى الصراعات وأهمها صراع (أرتميس) مع (هيلوس) من أجل مساعدة عيسى وكفالاته فقد صدمها برفضه وخوفه ونظرته

¹ الشعلان، سناء: رواية السقوط في الشمس، ص16.

² المصدر السابق، ص33.

³ . Asstory.blogspot.com/2011/04/normal-o-false-false.html?m=1

للمناضلين السياسيين وقد أمرها بالابتعاد عنه "أرجوك لا تعاودي الحديث في هذا الموضوع، وعذرا أحب أن تقللي من زيارتك لي في الأيام القادمة، أنا لا أريد أية مشاكل مع أحد أتفهمين؟"¹.

كما كانت هناك مواجهة بين (أرتميس) وعيسى الذي حذرهما من (هيلوس) وقال لها لا تخدعي بطيبته ومظهره ولكنها لم تقتنع بكلامه وغضبت وقالت له أنا أعشقه فوصفها عيسى بالعاهرة "هل قال لي عاهرة؟ نعم قالها، أياصور حبي لك بالعهر؟ ألا يعني العهر مئات العلاقات ومئات الرجال؟"²، نستنتج أن أغلب الصراعات الخارجية في الرواية تدور بين (أرتميس) وباقي الشخصيات فمرة تخوض صراعا مع (هيلوس) وأخرى مع عيسى، كما كان لها صراعات مع شرف التي كانت تبادلها مشاعر الكره والغيرة، فسثناء الشعلان جعلت (أرتميس) محور الأحداث والصراعات وكل الشخصيات مرتبطة بها. يظهر العديد من الحالات النفسية نتيجة تأثير البعد النفسي على الشخصيات، وتفاعل الشخصيات داخل السرد الروائي، فلا بد لنا من دراسة هذه الحالات التي تظهر على الشخصيات، ومن هذه الحالات النفسية:

1- القلق:

القلق هو عبارة عن خوف لكن ليس بسبب شيء وإنما نتيجة خوف غامض دون سبب وحالة من الاضطراب النفسي تصيب الإنسان، وتكون مشاعر القلق ملازمة للشخص لفترة طويلة مثل الخوف من المستقبل.

¹ الشعلان، سناء: رواية السقوط في الشمس، ص112.

² المصدر السابق، ص107.

وينقسم القلق إلى ثلاثة أقسام:

- القلق المرضي: وهذا القلق غير غامض بل محدد كالخوف من الأماكن المرتفعة أو الخوف من الزواحف والحيوانات.
- القلق الهستيري: وهو حالة قوية من القلق يظهر على صاحبها أعراض كالرعشة وصعوبة التنفس والتشنج والإغماء، وهذه الأعراض تحل بديلاً للقلق، وهذا النوع من القلق يبالغ فيه الشخص في خوفه من الأشياء ويفقد السيطرة على نفسه وأعصابه.
- القلق الوجودي: وهذا القلق يأتي بعدة أشكال فهناك القلق من الموت ومصير الإنسان بعد الموت، أما الشكل الثاني لهذا القلق فيكون أخلاقياً قائماً على الخوف من الذنب وجزاء هذا الذنب، والشكل الثالث يكون خوف الإنسان من الخواء الروحي والحياة بلا معنى، وكان من بعض الفلاسفة من فسر الخوف الوجودي بأنه خوف من الحرية والاختيار فكل إنسان يقوم بخلق سلوك جديد أو عادة جديدة هو حر في اختياره ولكن الخوف والقلق من أن يحتذي الآخرون بسلوكه فيكون هو مسؤول عما حدث معهم ويتحمل مسؤولية هذا الفعل وتوابعه.

نجد الكثير من مشاعر القلق في رواية السقوط في الشمس، فنلاحظ أن القلق كان من أبرز المشاعر التي انعكست على الشخصيات، فهم دائماً قلقون من المجهول وماذا يخبئ لهم القدر، (أرتيميس) دائماً قلقة بشأن حبها ونهايته، وقلقة من علاقة (هيلوس) وشرف، وكذلك فضيلة التي كانت تفكر بكظم وتخشى عليه بسبب سفره إلى البصرة، والضابط سعادة الذي يفكر في مستقبل أبنائه ويقلق من أجلهم، أيضاً مروة التي كانت شديدة القلق والتوتر قبل أن تؤدي دورها في تمثيل المسرحيات

"وجهها شاحب لا بد أنها قلقة بشأن هذا اليوم"¹، وأنس التي اختفى حبيبها بعدما أعطته النقود ولم يعد فقد كانت دائماً متوترة وقلقة بشأنه إلى أن اكتشفت أنه خدعها وعرفت حقيقته.

ومن المواقف التي انعكس القلق فيها على (أرتيميس) عندما ذهبت لتحضر عرس أنس وعادت من العرس لترى (هيلوس) لكنها لم تجده في مرسومه كعادته "أتمنى أن أسمع صوتك ولكن لا إجابة، قلبي يحدثني بأن مكروها قد أصابك"²، فمشاعر القلق كثيرة في رواية السقوط في الشمس ونجدها عند جميع الشخصيات بلا استثناء، وكأن سناء الشعلان عندما جعلت القلق يسيطر على الشخصيات في الرواية كانت تمهد للنهاية كل قصة في روايتها فالنهايات كانت حزينة ولم تكن كما تتمنى الشخصيات، فكل المحبين في الرواية تفرقوا لقد فرقهم الموت منهم فضيلة التي خطف الموت حبيبها كاظم، و(أرتيميس) التي فرقها القدر وحمل شرف عن حبيبها، فالقلق كان تمهيداً لهذا الفراق وكان حدس الشخصيات وشعورهم في مكانه ولم يكن عبثاً.

2- الحزن:

وهو عبارة عن مشاعر غير سارة نتيجة أحداث سيئة يتعرض لها الإنسان، مثل الفراق والمرض والخيانة والظلم، ويعبر الإنسان عن حزنه بالبكاء والتأوه والسكون وعدم الرغبة بممارسة النشاطات اليومية. وهناك حزن يكون بسبب حدث أو صدمة في حياة الإنسان ويزول مع الوقت، وحزن يستمر مع الإنسان في جميع أوقاته ويتطور ليصبح اكتئاباً وحزناً لمجرد وجود الشخص في هذا العالم.

وهناك الحزن الرومنطيكي وهذا الحزن يكون نتاج عدم الرضا بالواقع، وخيبة الأمل من البيئة التي يعيش فيها الفرد فالحزن الرومانتيكي ليس "بالحزن الصارخ القبيح، بل هو ضرب من الألم الوجداني

¹ الشعلان، سناء: رواية السقوط في الشمس، ص129.

² المصدر السابق، ص94.

الهادئ، ألم شاعري رقيق، يجلب العطف"¹ فهذا الحزن عبارة عن تعاطف والشعور بهموم الآخرين والحزن للحوادث والحروب التي يتعرض لها الناس.

إلى جانب مشاعر القلق في رواية السقوط في الشمس، نجد أيضا الكثير من مشاعر الحزن والألم الذي يسببه فراق الأحبة، فعادة كان يسكنه الحزن على حال الشعوب العربية وعلى هزيمة الجيوش العربية التي فشلت في تحرير فلسطين، وفضيلة التي بكت حبيبها الشهيد وحزنت على فراقه حزنا شديدا، أما (أرتيميس) فكانت من أكثرهم حزنا على فراق حبيبها، فكل الشخصيات عاشوا حياتهم ونسوا حزنهم إلا (أرتيميس) كان الحزن مرافقا لها في جميع لحظات حياتها فلم تنس حبيبها أبدا، ف(أرتيميس) ترى نفسها "ميتة، أنا محترقة، أنا ملعونة"² فقد سلبها الحزن صحتها وشبابها وجمالها ولم تذق طعم السعادة ما تبقى من حياتها.

3- الحب:

ففي الرواية كانت (أرتيميس) عاشقة ل(هيلوس) تحبه بكل صفاته السيئة والإيجابية، كما نجد الكثير من مشاعر الحب عند الشخصيات، فكلهم جرب العشق، مثل مشاعر الحب بين (أرتيميس) وصديقاتها، وأيضا حب (أرتيميس) لعائلتها أمها و أبيها وجدتها، وسعادة أيضا الذي يحب عائلته، والكثير من مشاعر الحب في رواية السقوط في الشمس فالرواية رواية عشق وحب لاحظنا فيها انعكاس الحب على الشخصيات وآثاره عليهم ف(أرتيميس) كان الحب يعيد إليها حيويتها وشبابها، ويملاً قلبها بالسعادة "أنا سألقاك، يا لها من فرحة! ليتني أهدي البشر كلهم أزهارا ابتهاجا بلقائك،

¹ عبد الحليم، محمد: الشخصية الرومانتيكية والحب الرومانتيكي، مجلة الرسالة، العدد 958، ص12.

² الشعلان، سناء: رواية السقوط في الشمس، ص259.

ليتني أخبر ذلك البائع المتجهم بسعادتي"¹، فسناء الشعلان بينت ما يفعله الحب بالشخصيات والأثر الذي يتركه عليهم والسعادة التي يملأ بها قلوبهم، كما بينت الفرق بين الآثار التي يحفرها الحزن على الشخصيات وبين أثر السعادة التي يتركها الحب على الشخصيات فنفس الشخصية عايشة الفرح بسبب حبها وكذلك شعرت بالحزن بسبب نفس الحب.

4- الكراهية:

مشاعر الكراهية في رواية السقوط في الشمس كانت جليلة في علاقة شرف ب(أرتيميس) فكلاهما كان يتبادل مشاعر الكره والغيرة نفسها؛ بسبب الصراع على الفوز بحب (هيلوس) ودائما ما كانت شرف تستفز (أرتيميس) وتتوعدها بالانتقام، شرف كانت رمزا للكره والخبث والخداع، ومن الشخصيات الأخرى التي كرهتها (أرتيميس) نمر نصار الذي كان يشبه شرف في صفاته وكان يستغل ماله ليقوم بالعلاقات مع النساء أمثال شرف، أيضا اجتمعت الشخصيات في الكره في شخصية الضابط الذي حقق مع عيسى وأصدقائه وسجنهم، فكرهوا ظلمه وجهله وطباعه وأخلاقه السيئة.

5- الاحترام والتقدير:

من الشخصيات التي كانت محلا للاحترام والتقدير في رواية السقوط في الشمس (مشعل الخضرا) وهو أستاذ جامعي كان ينصر المظلومين، وكان شجاعا في قول الحق لا يخشى السجان ولا يخشى على مركزه الاجتماعي، وكان قد كفل عيسى وأصدقائه وأخرجهم من السجن وبموقفه هذا حاز على احترام الجميع وتقديرهم، وكان سناء الشعلان تعمدت أن تخصص مشاعر الاحترام فقط للشخصية مشعل الخضرا وقد فعلت ذلك لتبين أهمية نصر المظلومين والوقوف إلى جانب الحق.

¹ الشعلان، سناء: رواية السقوط في الشمس، ص 167.

6- الخذلان والخيبة:

انعكس شعور الخذلان والخيبة على أكثر من شخصية في رواية السقوط في الشمس، بداية تمثلت في أنس التي كانت تشعر بخيبة وخذلان كبير بسبب الخديعة التي تعرضت لها من حبيبها الذي سرق نقودها و لم يعد، أيضا (أرتيميس) خذلها حبيبها أكثر من مرة، المرة الأولى عندما رفض طلبها بمساعدة عيسى واكتشفت جبنه، فخذلها أمام أصدقائها ولم يلج طلبها بنصرة عيسى فخاب أملها وتحطمت الصورة التي رسمتها له، وقد خذلها مرة أخرى عندما قرر الزواج من شرف بسبب حملها منه، وهذا الخذلان كان صفة ل (أرتيميس)، بل كان حزنا لها مدى الحياة "لا بأس لقد اعتدت على عالم من الخذلان تزرعني فيه"¹؛ فحبيب (أرتيميس) كان دائم الخذلان لها وكان واثقا من حبها وأنه مهما فعل فلن تكرهه بل ستبقى تعشقه.

من خلال ما سبق نخلص إلى أن الكاتبة سناء الشعلان وظفت جميع الحالات النفسية وجعلت الشخصيات تعايش تلك الحالات من حب وكره و فرح وحزن وقلق وخوف، كان الغالب على الرواية في البداية مشاعر الحب والسعادة، ولكن مع مرور الوقت داخل السرد يسيطر الحزن على الشخصيات بسبب الفراق فالحب كان سببا للسعادة والحزن داخل الرواية، ومن الحالات التي سيطرت على الشخصيات الخوف والقلق دائما من المصير المجهول الذي ينتظر حبه.

البعد السياسي في رواية السقوط في الشمس

شغل مصطلح السياسة حيزا كبيرا في الأدب بمختلف أشكاله، لذلك نرى أثر السياسة في الشعر والنثر وفي النقد أيضا، ومرد ذلك راجع إلى الواقع العربي المقيد المحروم من الحرية، لذلك كان

¹ الشعلان، سناء: رواية السقوط في الشمس، ص256.

المتنفس الوحيد هو في الأدب بشكل عام و الرواية بشكل خاص التي جسدت الواقع السياسي في الوطن العربي.

الرواية السياسية:

يغلب على أحداث الرواية السياسية الأفكار السياسية أكثر من مواضيع العشق والمجتمع وغيرها فالرواية السياسية هي الرواية "التي تلعب القضايا والموضوعات السياسية فيها دور الغالب بشكل صريح أو رمزي، وكاتب الرواية السياسية ليس منتما - بالضرورة - إلى حزب من الأحزاب السياسية لكنه (صاحب أيديولوجيا) يريد أن يقنع بها قارئه بشكل صريح أو ضمني"¹.

تقوم الرواية السياسية على نقض الحكومات وتدعو للتحرر من قيود السلطة، وتحارب تكميم الأفواه وتدعو إلى حرية الرأي، لذلك تعد الروايات السياسية روايات معارضة للحكومات ولكن معارضة بالقلم والكتابة لا بالإضرابات والثورات، فهدف الكاتب من الكتابة عن السياسة هو تحريك الشعوب وتوجيهها وإيقاظها من سباتها وليزيد من وعي الناس ودرايتها بحقوقها، فالأدب يُعدُّ وسيلة من وسائل التحرر، ونيل الحقوق، وقد أصبحت السياسة "محورا مهماً من محاور الأدب العربي المعاصر بصفة عامة وفنون السرد بصفة خاصة؛ إذ لم يكن أمام المثقف العربي من سبيل إلا أن يلجأ إلى فنون السرد (يحكي) من خلال منظومتها أوجاعه وآلامه"².

وقد ظهرت مواضيع سياسية عدة في الروايات العربية بشكل عام سياسية أو غير سياسية، ومثال ذلك الظهور للبعد السياسي تمثل في رواية السقوط في الشمس على الرغم من أن الرواية عبارة عن رواية عشق إلا أن الواقع السياسي العربي يفرض على الكاتب أن يجسده في كتاباته، وسناء الشعلان

¹ وادي، طه: الرواية السياسية، مصر: الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان، ص6.

² المصدر السابق، ص2.

كاتبة أردنية من أصل فلسطيني ونرى في روايتها تأثراً ملحوظاً بالسياسة فنجدها تطرقت للحديث عن المناضل الفلسطيني بشكل خاص وإلى وضع فلسطين بشكل عام، ومن أهم الأبعاد السياسية التي جسدتها الروائية سناء الشعلان في رواية السقوط في الشمس تمثلت فيما يأتي:

أولاً: المناضل العربي والفلسطيني:

صورة المناضل العربي محفورة في وجدان كل عربي، والمعارك التي خاضها المناضلون ضد الصهاينة كثيرة، مثل حرب 1967 وحرب 1973، وحرب لبنان 1982، ومعركة الكرامة بالأردن، كل هذه الحروب نرى المناضل العربي يقف ببسالة ويتحدى بطش العدو على أمل تحرير فلسطين، ودفاعاً عن باقي الدول العربية واستشهد الكثير من المناضلين وجرح أيضاً الكثير، وقد تمثل ذلك في رواية السقوط في الشمس في شخصية الضابط (سعادة) المناضل العربي الغيور على أمته والمحب لوطنه كان سعادة ضابطاً في الجيش العربي يحارب العدو الصهيوني ويحرس حدود وطنه وبرغم تقاعده ومرضه ظلت روحه مرتبطة بذكرياته أيام العمل العسكري وقد ملأ بيته بالكثير من الصور للمناضلين ولرموز النضال في الوطن العربي والعالم مثل صورة جمال عبد الناصر وصورة جيفارا وكلاهما رمز للتحرر والثورة.

كما ظهرت شخصية عيسى الشاب الفلسطيني الذي يقضي أغلب أيامه في السجون فقد جرب سجن الصهاينة وسجن العرب ومع ذلك لم يجبن ولم يتوان في الدفاع عن قضيته وفي الكتابة عنها في الجامعة برغم ما يدفعه من ثمن تعبيره عن حبه لوطنه.

ثانياً: الحكومات العربية:

نرى انعكاساً للواقع العربي ولسياسة الحكومات العربية في رواية السقوط في الشمس، فالحكومات العربية كما صورتها سناء الشعلان تعمل على تكميم الأفواه وتحرص على زج الشباب الجامعي النشط سياسياً في السجون فنرى أكثر من انعكاس في هذه الصورة؛ فهناك انعكاس للسجن والسجان وما يتعرض له الشاب العربي من ذل وتعذيب وتككيل في السجون العربية فعيسى وأصدقائه قالوا عن السجانين "أولاد الزانية، والله كأنهم يهود"¹ ففي هذا التشبيه سناء الشعلان ترى أن الحكومات العربية لا تقل ظلماً وبطشاً عن العدو الصهيوني، فهذه الحكومات شكلت لتخدم الصهاينة وما هي إلا احتلال آخر للوطن العربي، فكأنها تشير إلى أن الوطن العربي محتل ك فلسطين ومسلوب الحرية كالشعب الفلسطيني ولا يقل معاناة عنه.

وفي موضع آخر في الرواية تنتقد سناء الشعلان السياسية التي تتبعها هذه الحكومات، "لو أن هذه السجون تحول إلى مستشفيات مجانية لأصبحت شعوبنا من أكثر الشعوب تمتعاً بالصحة، لو أن معتقلات الأحرار أصبحت سجونا إصلاحية للمجرمين تهذبهم وتعدّم أفراداً محبين للوطن لانعدم الخوف في بلادنا، لو أن هذا العدد الغفير من العسكريين وجه إلى ساحة القتال بدل مطاردة الكلمة وسحق الصيحة لحررت بلاد العرب والمسلمين منذ أكثر من نصف قرن"²، هنا نجد انعكاساً مطابقاً وشاملاً جداً لما تعانيه كل الدول العربية من سوء المنشآت الصحية ومن انعدام للأمن وكيف توجه جهود الجيش والسلطات نحو كبت الشعوب وسلب حريتهم، ولا نرى توجهها نحو بناء مستقبل أمني

¹ الشعلان، سناء: رواية السقوط في الشمس، ص118.

² المصدر السابق، ص115.

وصحي وتعليمي أفضل بل أن الحكومات العربية تسهم بشكل كبير في تراجع كافة مناحي الحياة للأسوأ.

ظهرت أيضا صورة الضباط العرب والسجانين وقد عكستها بشكل مطابق للواقع وصورت تعاملهم مع السجناء و صورت مدى التخلف الذي يعيشونه والظلم الذي يظلمونه للناس وكيف أنهم مسلوبو الإرادة لا رأي لهم يسيرهم قادتهم.

ثالثا: حرب عام 1967:

ذكرت سناء الشعلان في حديثها عن شخصية سعادة حرب عام 1967 ولكن لا نرى وجودا كثير لصورة حرب عام 1967 فقط مجرد ذكر لهزيمة حزيران وأثرها على سعادة الذي أصيب بشلل نصفي نتيجة حزنه وصدمته من الهزيمة التي تعرضت لها الشعوب العربية وبسبب استيلاء الصهاينة على جزء من الدول العربية.

رابعا: الشعب الأرمني:

تعرض الشعب الأرمني لإبادة جماعية من قبل العثمانيين عام 1915 وتشرذ جزء كبير منهم في العديد من الدول الأوروبية، وسيطر العثمانيون على أرمينيا وجعلوها جزءاً من الدولة العثمانية، وفي رواية السقوط في الشمس ركزت سناء الشعلان على قضية الشعب الأرمني، وقد جسدت صورة هذا الشعب في نورما التي لم تنفك عن ذكر مأساة شعبها وتتعاطف مع عيسى في قضيته بسبب الشبه بينهما في المعاناة والألم، نورما كانت شديدة الانتماء لشعبها ولغتها ودينها المسيحي فكانت تصلي صلاتها باللغة الأرمنية وكانت تحدث (أرتميس) عن شعبها ومأساتهم وعن عادات الشعب الأرمني، "عام 1914 تاريخ محفور في ذاكرة الوجدان الأرمني وفي وجدان نورما، هذا اليوم هو تاريخ مذبحه

بشعة ضاع ضحيتها آلاف الأرمن في مذبحه جماعية أعدت لهم في موطنهم...¹ وقد ركزت سناء الشعان على مأساة هذا الشعب وذكرتها في أكثر من مكان وجعلت لشخصية نورما حضوراً لافتاً لكي تشد أنظاراً لقارئ لهذه القضية.

من خلال قراءة الرواية نستنتج أن سناء الشعان تنتظر للدولة العثمانية على أنها احتلال ظالم، قائم على العنصرية، وقد ذكرت في موضع آخر شيئاً عن لواء الإسكندرونة الذي ضمه الإنتداب الفرنسي لتركيا وقد قامت تركيا بطرد العرب والأرمن منه ونشرت قواتها فيه ولكن لواء الإسكندرونة بالأصل منطقة عربية تابعة لسوريا "عندما تقول فضيلة أنها قد ولدت في لواء الإسكندرونة، لا تتس أبداً أن تلحق الإسكندرونة بكلمة المحتل...² ونلاحظ أن سناء الشعان تفخر بعروبيتها وتنتظر للدولة العثمانية بأنها دولة محتلة تحارب القومية العربية واللغة العربية، فسناء الشعان في نظرتها للأتراك والدولة العثمانية تعكس رأي جزء من الشارع العربي في رؤيته للحكم العثماني ولكن ليس رأي الكل العربي.

خامساً: الشعب الفلسطيني:

تعكس رواية السقوط في الشمس الواقع الفلسطيني وتجسده، وتصور معاناة شعبه، فسناء الشعان فلسطينية الأصل فمن الطبيعي أن نرى في كتاباتها تجسيد الوضع الفلسطيني وتعكس صورة المحتل وسلبه، ونرى في شخصية عيسى تجسيدا للمناضل الفلسطيني الذي لا تفارق فلسطين ذاكرته حتى لو ذهب إلى مكان آخر، فعيسى ظل يكتب عن فلسطين في الغربة وتعرض للسجن بسبب حبه لوطنه، وأيضا كانت فلسطين حاضرة في فنه فكانت كل تماثيله التي يشكلها تحاكي الواقع الفلسطيني.

¹ الشعان، سناء: رواية السقوط في الشمس، ص 109.

² المصدر السابق، ص 250.

سابعاً: الحرب الطائفية بين العراق وإيران:

قامت هذه الحرب على اختلاف المذاهب والانقسام بين سني وشيعي وقد عانت العراق كثيراً من الحروب الطائفية سواء مع إيران أو الحروب الأهلية داخل العراق والتي أدت إلى المجازر والمذابح بحق المدنيين وكان كل مذهب يقوم بتفجيرات في المدنيين الذين ينتمون إلى مذهب آخر.

في رواية السقوط في الشمس كان كاظم ضحية للحرب الطائفية فعندما عاد إلى البصرة استدعاه الجيش ليحارب ضد إيران واستشهد في هذه الحرب، وفي الرواية تسأل (أرتميس) نفسها "أليكون شهيدا من يقاتل مسلما مثله، فيقتل ولعله قد قتل مسلما قبل ذلك؟ ألم يعلمونا في المدارس أن المسلم سند للمسلم، لا يحل له دمه أو عرضه أو ماله؟ أم أن ما يعلم في المدارس يختلف عما يدور في أروقة السياسيين؟..."¹ ففي الرواية وصفت كاظماً بأنه شهيد للاستعباد والتطاحن السياسي، فالكاتبة ترى أن التفريق بين المسلمين حسب الطوائف ما هو إلا تخلف واستعباد للشعوب العربية وهو فكر استعماري يؤدي إلى حروب أهلية تعمل على تخريب الوطن العربي وتجعله منقسماً لا يتقدم ولا يستغل موارده بل يبقى يفكر في المذاهب والعنصرية.

البعد الاجتماعي في رواية السقوط في الشمس

يواجه الوطن العربي بعضاً من المشاكل والعادات الاجتماعية التي يزداد تأثيرها يوماً بعد يوم في المجتمع وتطوره، وقد انعكست هذه المشاكل الاجتماعية على الأدب، فالانعكاسية الاجتماعية هي "أننا نقوم على الدوام بالتفكير في الظروف التي تكتنف حياتنا في تأملها والتمعن فيها، بما في ذلك أنماط السلوك والممارسات والأفكار التي نزلوها أو نحملها في حياتنا اليومية"²، فعلم الاجتماع يقوم

¹ الشعلان، سناء: رواية السقوط في الشمس، ص 251.

² غدنز أنتوني: علم الاجتماع، الطبعة الرابعة، تر: الصياغ فايز، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، ص 41.

بتحليل المجتمع وتصنيفه إلى فئات ودراسة أثر الظروف في المجتمع والمشاكل التي يعاني منها أفراد المجتمع، ويقسم المجتمع إلى طبقات وأثر هذه الطبقات وعلاقتها ببعضها، فهناك نظريات في علم الاجتماع ترى "الحياة الاجتماعية من خلال أفكار البشر، خاصة من خلال معاييرهم وقيمتهم. فالمعايير هي تلك القواعد المقبولة اجتماعيا التي يستخدمها البشر في تقرير أفعالهم؛ أما القيم فأفضل وصف لها هو أنها ما يعتقده البشر عما يجب أن تكون عليه الحياة"¹.

ومن هذه المشاكل التي يواجهها المجتمع العربي، مثل البطالة، والفقر، واليتم، والجهل، والعادات والتقاليد البالية، وفي هذا البحث سنقف على أهم الانعكاسات الاجتماعية التي وظفتها الكاتبة في السرد الروائي، وما مدى تأثير الكاتبة بالمشاكل التي يواجهها المجتمع العربي.

أهم الابعاد الاجتماعية في رواية السقوط في الشمس:

كما الروايات لا بد من وجود انعكاس للواقع ومشكلاته في رواية السقوط في الشمس، فقد صورت الروائية سناء الشعلان بعض المشكلات الاجتماعية في المجتمع العربي، ومن أهم هذه الانعكاسات:

- أولا: الفقر: يعد الفقر من أكثر المشاكل الاجتماعية في المجتمع العربي، وقد وجدنا هذا الانعكاس داخل رواية السقوط في الشمس، وقد جسدت سناء الشعلان الفقر في أكثر من موضع وأكثر من شخصية سواء رئيسة أو ثانوية، ففي بداية الرواية تحدثت عن العم أبي علي قاطع التذاكر وكيف حفر التعب والفقر آثاره على وجهه، وأيضا جسدت معاناة الفقراء بشخصية كاظم الذي كان وضعه ووضع أسرته سيئا، وكيف حرمه فقره من الزواج من فضيلة فذهب ليعمل ويكسب

¹ كريب، أيان: النظرية الاجتماعية، تر: غلوم محمد، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1978م، ص63.

المال من أجلها لكنه استشهد، وأيضا سعادة كان فقيرا وبَيْتِه وطعامه متواضع لكنه كان طيبا كريما.

وصورت الشعلان التعب واليأس الذي يشعر به الفقراء، وأنهم حرموا ملذات الحياة كافة، وسبب تركيزها على مشكلة الفقر هو مدى الانتشار الواسع للفقر في الوطن العربي، وأثر الفقر على المجتمع. ومن أكثر الشخصيات تعاطفا مع الفقير كانت صديقة (أرتيميس) أسرار فهي تقول لأرتيميس "أنا لا أبتسم لأي رجل، أما أولئك الغلبة فابتسم لهم عن عمد لأهبهم لحظة سعادة، يستحقون ابتسامة تمسح عنهم غبار حياتهم الصعبة، ابتسامتي تسعدهم، أشعر بذلك، وترد لهم الثقة برجولتهم المسحوقة تحت أعباء الحياة، يستحقون ابتسامة أليس كذلك؟ أم أن الكعكة في يد اليتيم عجبه؟"¹.

- ثانيا: اليتيم: انعكست آثار اليتيم النفسية والمادية في شخصية شرف و(هيلْيوس)، (هيلْيوس) برغم تميزه ووصوله لهدفه فهو أستاذ جامعي إلا أن بداخله طفل صغير يشواق لأبيه ويشعر بالنقص لأنه عاش طفولته بلا أب يدلّه ويحميه ويكون سندا له في الحياة، وكان دائم التعاطف مع شرف لأنها مثله عاشت بلا أب يسندّها ويدلّلها.

شرف كانت ضحية اليتيم، وكانت لا تجد أحدا يلبي لها احتياجاتها المادية مما دفعها لإقامة العلاقات مع الرجال من أجل المال، شرف كانت خالية من العواطف لا يهتمها إلا المال، وكل

¹ الشعلان، سناء: رواية السقوط في الشمس، ص83.

هذه الصفات السيئة كانت بسبب شعورها بالنقص وأن المرأة من دون أب ضعيفة لا سند لها. "شرف امرأة ضعيفة، عاشت حياة صعبة، لم تعرف أباً، حلمت به دائماً"¹.

- ثالثاً: العادات والتقاليد: نجد في رواية السقوط في الشمس انعكاساً لبعض العادات والتقاليد لكن بشكل ضئيل، فالشخصيات في رواية السقوط في الشمس الغالب عليها التحرر وعدم الالتزام بالعادات المتشددة، لكن نجد بين السطور بعض من معتقدات المجتمعات العربية، ف(أرتميس) عند سفرها إلى إيطاليا مع حبيبها تعجبها عاداتهم وأنهم لا يحتاجون لوثيقة زواج لمعرفة العلاقة التي تربطها ب(هيلوس) وأن العشق محلل في بلاد الغرب على عكس الدول العربية ف(أرتميس) تقول "في هذه البلاد لا يحتاجون إلى ورقة صفراء يوقع عليها رجل دين، ويشهد عليها غريبان كي يباركون العشق"² فهنا تعكس العادات المتبعة في مراسم الزواج في الدول العربية.

وأيضاً نجد انتقاداً للشعوب العربية وكيف أنها تحارب الحب في كلام نورما التي تقول "في بلادكم تطعمون الحب للنار، تلعنونه، تخفونه كأنه خطيئة، تفخرون بأحقادكم وكرهكم، أما حبكم فتخلون منه، فيخل منكم"³ فنورما هنا تنتقد العرب ومحاربتهم للحب وتقرن الشعوب العربية مع الشعب الأرمني الذي يقدر الحب، ولا يوجد زواج من دون حب في بلادهم، وفي بلادهم يعلنون عن حبهم بالاحتفالات والزهور، ومن العادات عند الأرمن أنه يجب على العريس أن يخطف عروسه قبل الزواج منها ليؤكد لهم رغبته الزواج منها وحبها لها.

¹ الرواية، ص 207.

² الرواية، ص 223.

³ الشعلان، سناء: رواية السقوط في الشمس، ص 120.

نستنتج من هذا الانعكاس أن سناء الشعلان تشجع على الحب وتنتقد العادات التي تحارب الحب، فالشعلان هنا تدعو إلى التحرر من العادات والتقاليد التي تقيد الرجل والمرأة وتمنعهم من الشعور بفرحة الحب.

وأيضاً من الأمور التي ذكرتها سناء الشعلان في روايتها الحجاب من خلال شخصية أنس التي كانت غير محبة ولكن عندما تزوجت رجلاً متديناً لبست الحجاب ف (أرتيميس) تقول مستغربة "تصوري يا أسرار أنها أخفت شعرها الجميل تحت قطعة قماش "فهنا (أرتيميس) تستنكر فعل أنس وأنها تقول لا أحد يستحق التمتع بجمالها إلا زوجها، ولكن (أرتيميس) تدعو لها بالسعادة مهما كانت توجهاتها، هنا سناء الشعلان مع أنها محبة تبين وجهة نظر غير المحجبات في الحجاب، وأيضاً تدعو إلى تقبل أطياف المجتمع كافة لبعضهم.

- رابعاً: السحر والمشعوذون: ظاهرة السحر والشعوذة منتشرة بكثرة في الوطن العربي، لذلك نجد الكاتبة ذكرت هذه الظاهرة في روايتها من خلال شخصية (أرتيميس) التي أنهكها الفراق عن حبيبها وأفقد حيويتها وصحتها فظن والديها وجدتها أن أحداً قد عمل لها سحراً ودفنه تحت شجرة الياسمين، فقاموا باقتلاع الشجرة وترك بيتهم فتارة يقول لهم المشعوذون أن سحراً قد دفن تحت شجرة الياسمين وتارة أخرى يقولون إن عينا أصابت بيتهم ولا بد من تغييره، وكان المشعوذون يعطون (أرتيميس) أعشاباً ومواداً لتشربها "طوال السنين آمنت جدتي بأن سحراً قد أصابني أو أن جناً شريراً قد سكن جسدي..¹ نستنتج أن الكاتبة هنا تقوم بنقد المجتمع العربي الذي يلجأ

¹ الشعلان، سناء: رواية السقوط في الشمس، ص 261.

للمشعوذين لحل مشكلاتهم وأيضاً تبين أن الناس دائماً يعتقدون أن سبب مشاكلهم السحر والحسد ولا يفكرون بشيء آخر.

كما ظهرت قضية قراءة الفنجان، ففي بداية الرواية كان الضابط سعادة يقرأ الفنجان ويقول لأنس بأن حبيبها سيعود ليتزوجها ولكن في النهاية يخدعها حبيبها ولا يعود، نجد أن الكاتبة أظهرت فشل تنبؤات المشعوذين وكذبهم وأنهم لا يعرفون شيئاً وهنا لتلفت القارئ إلى ضرورة ترك المجتمع لهذه الظاهرة السيئة وعدم ذهابهم للمشعوذين ونبذهم بل محاربتهم.

- خامساً: المتسولون: نجد في الرواية صورة للأطفال المتسولين الذين يطلبون المال من الناس، فعندما كانت (أرتيميس) تذهب إلى الجامعة كانت تلتقي بالأطفال المتسولين وتعطيهم النقود وكانوا يكررون عليها عبارتهم المشهورة "وحياة الغالي عندك صدقة"¹ وقد وصفت الكاتبة الحالة المزرية للأطفال المتسولين في البرد القارس من دون حذاء وبملابس رثة وأيضاً أشارت إلى كثرة وجود المتسولين.

- سادساً: الأسرة: صورة الأسرة في الرواية كانت صورة إيجابية، مثالية كلها حب وعطف، ف(أرتيميس) تحب أسرتها ودائماً تتحدث عن الحب بين أمها وأبيها، وأيضاً هناك أسرة سعادة أسرة مترابطة بسيطة يحبون بعضهم ويعطفون على بعضهم، وقد بينت الكاتبة أهمية الأسرة في روايتها من خلال كلام فضيلة ل(أرتيميس) التي قالت أنها لن تتخلى عن أسرتها من أجل حبها فعائلتها أهم شيء في حياتها، والسبب الذي دفع الكاتبة لتعكس الصورة الإيجابية للأسرة هو وجود الكثير من الأسر التعيسة والمتفككة في المجتمع العربي فهي تدعو في هذه الصورة إلى

¹ الشعلان، سناء: رواية السقوط في الشمس، ص33.

التمسك بالأسرة وتبين مدى أهمية الأسرة ف(أرتميس) عندما كانت تشعر بالحزن والوحدة كانت تشتاق لعائلتها وحبهم والأمان الذي تشعره بينهم.

الخلاصة

جاء هذا الفصل بعنوان البعد النفسي والاجتماعي والسياسي للمرأة والرجل في رواية السقوط في الشمس حيث عرضت فيه الباحثة ابعاد العامل النفسي والحالة النفسية للشخصيات التي تراوحت ما بين مشاعر وصراعات كان لها أثرٌ على شخصيات الرواية، أما البعد السياسي فعرضته الكاتبة بعدة صور وأحداث وهي: المناضل العربي والفلسطيني، والحكومات العربية، وحرب عام 1967، وقضية الشعب الأرمني والشعب الفلسطيني، والحرب الطائفية بين العراق وإيران، أما البعد الاجتماعي عرضته الكاتبة من الواقع و المشاكل الاجتماعية المتمثلة بقضية الفقر والعادات والتقاليد والسحر والشعوذة و التسول والقضايا الأسرية التي كان لها أثرٌ واضحاً على الشخصيات في الرواية.

الخاتمة

خلص البحث إلى نتائج عدة أهمها:

- لقد برزت في الرواية غير صورة للمرأة والرجل فصورة المرأة منها ما كانت إيجابية مثل المرأة المتمردة والمناضلة والعاملة والمتحررة والعاشقة ومنها صور سلبية أوردتها الكاتبة في سياق النقد ومن باب الدعوة إلى تغيير واقع المرأة والنهوض به ومن تلك الصور صورة المرأة التقليدية المرأة السيئة التي تقيم علاقات مع الرجال من أجل المال، دعمت الكاتبة في روايتها فكرة المرأة القوية التي توازي الرجل وتكون ندا له في الحياة تشاركه في العمل والقرارات ولا تخضع لسلطته، على عكس الروايات النسوية التي تركز على المرأة المظلومة المضطهدة، وعملت الكاتبة على توظيف الأساطير في رواياتها واستحضرتها في غير موضوع، وقد بالغت في ذلك التوظيف حتى وظفت لكل صورة من صور الرجل المرأة أسطورة ترتبط بها، ومن هذه الأساطير: أرتميس، أفروديتا، أسطورة فليميون وزوجته برسيس، أسطورة آلهة الخصب.
- لقد بدت صورة الرجل في رواية السقوط في الشمس مختلفة عن صورته في الروايات النسوية، فالكاتبة بينت الظلم الذي يقع على الرجل في المجتمعات العربية، من ذلك: صورة الرجل اليتيم والرجل المناضل الذي يحمل هم الوطن ويتعرض للظلم في سبيله والرجل الفقير والعامل الذي يكبح في سبيل لقمة العيش، وركزت الكاتبة على صورة الرجل الأسطورة: لقد حضر الرجل الأسطورة بقوة في الرواية وهذا هو الجديد الذي جاءت به الرواية لاسيما في الروايات النسوية، إذ قدست الرواية الرجل وشبهته بالآلهة حين استحضرت في سياق الحديث عنه عدة أساطير تعلي من شأنه وتصور جهده في سبيل عائلته وخدمتها دون كلل أو ملل، من هذه الأساطير: أسطورة هيليوس إله الشمس، وأسطورة زيوس كبير آلهة اليونان، وأسطورة كالاغولا، وأسطورة

لوركاء، وأسطورة أورفيوس، وأسطورة طائر الفينيق، وفي سياق الحديث عن صور الرجل جعلت الكاتبة الحظ الأوفر فيها للصور الإيجابية، مخالفة بذلك الروايات النسوية التي تحاول دائما إظهار الصورة السلبية وتعميمها، لذلك نجد أن صورة الرجل المناضل والزوج الوفي المخلص تفوقت على صورة الرجل الخائن الشهواني.

- وظفت الكاتبة البعد النفسي في أحداث الرواية، وبينت الانعكاسات النفسية التي ظهرت على الشخصيات من خوف وحزن وفرح وحب وكره وخيبة وخذلان، وتأثرت الكاتبة بالأوضاع السياسية في الوطن العربي خاصة القضية الفلسطينية، لذلك نجد حضورا قويا للمشهد السياسي في الرواية ووجود أكثر من شخصية تمثل المناضل العربي والفلسطيني، ثم نجد البعد الاجتماعي بانعكاساته متجليا في الرواية، إذ تطرقت الكاتبة للحديث عن الفقر وأثره على الشخصيات والمجتمع، كذلك تحدثت عن اليتيم والمتسولين وعالجت الرواية عددا من المظاهر الاجتماعية السيئة التي أشغلت الناس وكانت سببا في كثير من المشاكل الاجتماعية، كان من أهمها: السحر والشعوذة المنتشرة بشكل واسع في المجتمع، إضافة إلى بعض العادات والتقاليد التي تمنع الحب وترى فيه خدشا للحياء.

- بدا تأثير الانعكاسات السياسية والاجتماعية في الرواية واضحا، وهذا ينم عن مدى تأثر الكاتبة بالأوضاع التي يشهدها الوطن العربي من ظلم وفقر وانتهاك لحقوق المواطن، وكذلك تأثرها بالأوضاع السياسية التي تحدثت في فلسطين خاصة والوطن العربي عامة.

قائمة المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم
2. إسماعيل، عز الدين (1987): التفسير النفسي للأدب، بيروت، دار العودة، ط4.
3. انقار، محمد (1994): صورة المغرب في الرواية الإسبانية، المغرب: مكتبة الإدريسي.
4. أنيس، إبراهيم (1950): الأصوات اللغوية، مصر: مكتبة نهضة.
5. البطل، علي (1981): الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري، دار الأندلس للطباعة والنشر.
6. البيطار، هدية جمعة (2010): الصورة الشعرية عند خليل حاوي، أبو ظبي: دار الكتب الوطنية.
7. بيهم، محمد جميل (1921): المرأة في التاريخ والشرائع، بيروت.
8. الجاحظ، أبو عثمان (255هـ): البيان والتبيين، الجزء الأول، القاهرة: مكتبة الخانجي، دس.
9. الجمحي، محمد بن سلام (231هـ): طبقات فحول الشعراء، دار المعارف للطباعة والنشر، د.س.
10. حجازي، مصطفى (2005): التخلف الاجتماعي: مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور، المغرب: المركز الثقافي العربي.

11. حسين، طه (2002): المرأة وعلاقتها بالآخر في الرواية العربية الفلسطينية، الأردن، دار الفارس للنشر والتوزيع، ط1.
12. حمداوي، جميل: بلاغة الصورة الروائية، المغرب: مطبعة بني ازناسن، د س.
13. ابن خلدون (2001): تاريخ ابن خلدون، مجلد 1، لبنان: دار الفكر للطباعة والنشر.
14. الخولي، يمنى الطريف (2017): النسوية وفلسفة العلم، مؤسسة هنداي سي آي سي.
15. دروزة، محمد (1961): تاريخ الجنس العربي في مختلف الأطوار والأدوار والأقطار، ج 5، بيروت: د.ط.
16. الديك، إحسان (2013): صدى الأسطورة والآخر في الشعر الجاهلي، باقة الغربية، مجمع القاسمي للغة العربية، ط1.
17. الأسطورة في الفكر الجاهلي وأدبه، باقة الغربية، مجمع القاسمي للغة العربية، ط1، 2016م.
18. ذبيان، سامي وآخرون (1990): قاموس المصطلحات السياسية، رياض الريس للكتب والنشر، الطبعة الأولى، لندن.
19. الرويلي، ميجان وآخرون (2002): دليل الناقد الأدبي، الطبعة الثالثة، بيروت: المركز الثقافي العربي.
20. الزبيدي، محمد المرتضى: تاج العروس من جواهر القاموس، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، مج9، مادة صور.

21. زيماء، بيبير: **النقد الاجتماعي**، الطبعة الأولى، ترجمة: لطفي، عايدة، القاهرة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، د.س.
22. السبكي، محمد محي الدين عبد الحميد محمد وآخرون (2009): **المختار من صحاح اللغة**، مطبعة الاستقامة.
23. السواح، فراس: **لغز عشتار الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة**، سورية: دار علاء الدين، د.س.
24. السيف، خالد بن عبد العزيز (2016): **إشكالية المصطلح النسوي دراسة دلالية**، المملكة العربية السعودية، الدار العربية للطباعة والنشر، ط1.
25. الشربيني، زكريا (2018): **مقتطفات من علم النفس في الكوارث والصدمات والأزمات**، مصر: مكتبة الأنجلو المصرية.
26. الشعلان، سناء: **السقوط في الشمس**، دار الوراق للنشر والتوزيع، د.س.
27. شمس الدين، موسى (1997): **تأملات في إبداعات الكاتبة العربية**، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
28. الطباع، عمر (1992): **فنون الشعر العربي**، الطبعة الأولى، بيروت: دار القلم.
29. الطرازي، مبشر: **المرأة وحقوقها في الإسلام**، بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.

30. عصار، خير الله (2008): مقدمة لعلم النفس الأدبي، الجزائر، مؤسسة بونه للبحوث والنشر، ط1.

31. علوش، سعيد (1985): معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة عرض وتقديم وترجمة. بيروت: دار الكتاب اللبناني.

32. علوش، سعيد: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1.

33. الغدامي، عبد الله (2006): المرأة واللغة، بيروت: المركز الثقافي العربي.

34. الغنيم، إبراهيم: الصورة الفنية في الشعر العربي مثال ونقد، الشركة العربية للنشر، د ت.

35. الفاروق، فضيلة (2005): رواية اكتشاف الشهوة، دار الرئيس للنشر.

36. فضل، صلاح (2002): مناهج النقد المعاصر، الطبعة الأولى، القاهرة: ميريت للنشر.

37. الفيروزأبادي (2013): القاموس المحيط، القاهرة، دار الحديث.

38. قصاب، وليد (2007): مناهج النقد الأدبي، الطبعة الثانية، دمشق: دار الفكر.

39. قيرواني، ابن رشيد: العمدة في محاسن الشعر وآدابه، الجزء الأول، دار التراث للنشر والتوزيع، د.س.

40. كيال، باسمه (1981): تطور المرأة عبر التاريخ، دار عزالدين.

41. لالاند اندري (2008): موسوعة لالاند الفلسفية، مجلد 1، بيروت.

42. لوكاتش، جورج: **دراسات في الواقعية**، الطبعة الثالثة، ترجمة: بلوز، نايف، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، د.س.
43. لينين: **دفاتر فلسفية**، ترجمة إلياس مرقص، دار الحقيقة للطباعة والنشر، د.س.
44. محفوظ، عبد اللطيف (2009): **وظيفة الوصف في الرواية**، بيروت: الدار العربية للعلوم.
45. مطلوب، أحمد (2001): **معجم مصطلحات النقد العربي القديم**، مكتبة لبنان.
46. المقدم، أحمد (2006): **عودة الحجاب**، مصر: دار طيبة للنشر.
47. مناصرة، حسين (2002): **المرأة وعلاقتها بالآخر في الرواية العربية الفلسطينية**، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1.
48. مناصرة، حسين (2008): **النسوية في الثقافة والإبداع**، الأردن: عالم الكتب الحديث.
49. ابن منظور: **لسان العرب**، إيران: أدب الحوزة، المجلد4، د.ت.
50. موساوي، أحمد (2009): **في أدب نجيب الكيلاني أبعاد الصراع وامتداداته**، القاهرة، مكتبة الآداب، ط1.
51. الندوي، أبو الحسن: **ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين**، المنصورة: مكتبة الإيمان، د.ت.
52. نصر، عاطف جودة (1978): **الرمز الشعري عند الصوفية**، بيروت: دار الأندلس.
53. نضال، نزية (2004): **تمرد الأنثى**، الأردن، دار الفارس للنشر والتوزيع، ط1.

54. هويدي، صالح (2015): **المناهج النقدية الحديثة أسئلة ومقاربات**، الطبعة الأولى، سوريا: دار نينوى.

55. وادي، طه: **الرواية السياسية**، مصر: الشركة المصرية العالمية للنشر-لونجمان، د س.

56. وجليسي، يوسف (2007): **مناهج النقد الادبي**، الطبعة الأولى، الجزائر: جسور للنشر والتوزيع.

57. اليافي، نعيم (2008): **تطور الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث**، سوريا: صفحات للدراسات والنشر.

58. يقطين، سعيد (2012): **قضايا الرواية العربية الجديدة**، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1.

الدوريات والمجلات

1. الحوماني: **الصورة والتصور والتصوير**، مجلة الرسالة، عدد 64.
2. عبد الحليم، محمد: **الشخصية الرومانتيكية والحب الرومانتيكي**، مجلة الرسالة، العدد 958.
3. كاظم، عبد الله وآخرون: **الأنثى تبوح بسيرتها إشكالية البوح وأنماطه في كتابة السيرة الذاتية النسائية**، عدد 1، مجلد 15، مجلة القادسية، 2012م.

رسائل الماجستير

- 1- حامي، خديجة (2013): **سرد النساء العربي بين القضية والتشكيل: روايات فضيلة الفاروق نموذجاً**، رسالة ماجستير منشورة، الجزائر: جامعة مولود معمري.

- 2- عدوان، نمر عدوان (2001): تقنيات النص السردي في أعمال جبرا إبراهيم جبرا الروائية، رسالة ماجستير، فلسطين، جامعة النجاح الوطنية.
- 3- ماجدولين، السويطي (2012): صورة الرجل في الرواية النسوية الفلسطينية "سحر خليفة أنموذجاً"، رسالة ماجستير، جامعة الخليل.
- 4- مهدي، ميزر علي (2013): الشخصية في رواية سناء الشعلان، رسالة ماجستير، جامعة تكريت.
- 5- عادل، طيب الشريف-عمور، إبراهيم (2019): البنية الزمنية في رواية السقوط في الشمس لسناء الشعلان، رسالة ماجستير، جامعة محمد بوضياف، الجزائر.
- 6- حامد، علي خالد (2021): صور المرأة المسلمة في أدب سناء الشعلان السردية، جامعة البصرة.

المواقع الالكترونية

1. <https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AC%D8%AF%D9%84%D9%8A%D8%A>
2. Tafahom.mara.gov.om
3. <https://m.ahewar.org/s.asp?aid=483209&r=o>
4. <https://m.ahewar.org/s.asp?aid=481075&r=0>
5. Swnsyria.org/?p=3253
6. SOTOR.COM شرح نظرية الإنعكاس في الأدب

7. hyatok.com ، 2019 ، سلامة خلود: مفهوم الذات
8. <https://m.ahewar.org/s.asp?aid=616805&r=0>
9. Asstory.blogspot.com/2011/04/normal-o-false-false.html?m=1
10. CULTUREANDART<WWW.ALGAZEERA.NTE



**An-Najah National University
Faculty of Graduate Studies**

**THE IMAGES OF THE WOMAN AND THE MAN
IN THE NOVEL OF FALLING INTO THE SUN
BY THE WRITER SANAA AL-SHAALAN**

**By
Amna Mohammad Abd-AlJalil Elewi**

**Supervisor
Dr. Odwan Nemir Odwan**

**This Thesis is Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree
of Master of Arabic Language and the Literature, Faculty of Graduate Studies,
An-Najah National University, Nablus- Palestine.**

2022

THE IMAGES OF THE WOMAN AND THE MAN IN THE NOVEL OF FALLING INTO THE SUN BY THE WRITER SANAA AL-SHAALAN

By

Amna Mohammad abd-AlJalil Elewi

Supervisor

Dr. Odwan Nemir Odwan

Abstract

In this study, the researcher dealt with the images of women and men in the novel of the fall in the sun by the writer Sanaa Al-Shaalan, the novel embodied live images of the living reality, and highlighted the image of women and men and the psychological, political and social dimension on them, through description and analysis to show what distinguishes the writer from the other female writers.

The study came in a preliminary, three chapters, and concluded by the researcher, in which she explained the importance of the study because she deals with the two images of women and men and discusses the differences between them, indicating the most important questions that the study will answer, then the researcher stopped in it on the concept of feminine literature and on the concept of the image language and language.

As for chapter one, the researcher dealt with the image of the woman in the novel Fall in the Sun, in which the researcher stopped at the picture drawn by the writer for the woman in the novel "Fall in the Sun" as an application model for the study, and followed the most important elements she employed in drawing that picture, including internal and external referrals and various kinds. This helps to preview that image and to get its most important features.

As for the second chapter, the researcher dealt with the image of the man in the novel of the fall in the sun and how Sanaa Al-Shaalan photographed the man, then tried to compare the two pictures in the novel: The first is the image of the woman and the second is the image of the man.

In chapter III, the researcher devoted him to the psychological, political and social dimension of women and men in the novel; It followed in it the extent to which the writer's psychological, social, and political dimension reflected on her literary

The study was then appended, concluding its findings.

Key words: Women's Image, Man's Image, The Novel of Falling in the Sun, Feminist Literature, Heroine, Artemis, Helios, Psychological, Political. Social.